المنهج الحديث

فى الأدب العربى

وفق آخر منهج أقرته وزارة المعارف

للسنة الخامسة

١٩٣٧

الثمن ٢٥ مليما

تأليف

على حسن النادى

المفتش

بوزارة المعارف سابقاً

طه محمد عبده

المتخرج فى دار العلوم

والمدرس بالمدارس الثانوية

يطلب هذا الكتاب من ملتزمة طبعه ونشره مكتبة مصر بشارع الفجالة

مطبعة حجازى بالقاهرة

تليفون ٥٥٤٨٠

المنهج الحديث

فى الأدب العربى

وفق آخر منهج أقرته وزارة المعارف

للسنة الخامسة

١٩٣٧

الثمن ٢٥ مليماً

تأليف

على حسن النادى

المفتش

بوزارة المعارف (سابقاً)

طه محمد عبده

المتخرج فى دار العلوم

والمدرس بالمدارس الثانوية

يطلب هذا الكتاب من ملتزمة طبعه ونشره مكتبة مصر بشارع الفجالة

مطبعة حجازى بالقاهرة

تليفون ٥٥٤٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الذى أدّبه فأحسن تأديبه وبعد

فهذه عُجالة تناولنا فيها منهج السنة الخامسة فى الأدب العربى هذا للعام ، وجعلناها قصدا بين الإيجاز والأطناب ، حتى لا يضيق بها فراغ الطالب ولا تنبو معها الفائدة المنشودة ، بيد أننا توخينا الجدة والطرافة فيما اصطفيناه من مختارات — والسهولة والإيضاح فيما درسناه من موضوعات

ولكتابنا هذا ميزات وفضائل أخر ، ما نخالنا سنعدم عند اخواننا المدرسين وأبنائنا الطلبة جزاءنا عليهـا من تشجيع وإقبال ، هما حسبنا وكفى ؟

المؤلفان

شعبان سنـة ١٣٥٥ هـ

نوفمبر سـنة ١٩٣٦ م

منهج السنة الخامسة سنة ١٩٣٦ - سنة ١٩٣٧ م (نظام قديم)

وفقا لمنشور وزارة المعارف الذى صدر بتاريخ ٢٧ / ٧ سنة ١٩٣٦

لمحة فى الحياة الاسلامية من الوجهة السياسة
نشوء الأوطان المستقلة .
حالة الأدب بالحجاز فى العراق وفارس وخراسان وفى مصر والشام

الشعر . استفادته من الجهود العلمية والأدبية التى بذلت فى العصر العباسى الأول .
الأغراض الجديدة ، تأثره بالصناعة اللفظية

(ا) فى العراق وفارس وخراسان : —
ترجمة للشريف الرضى — وأمثلة فى شعره
أمثلة من شعر مهيار الديلمى . والسرى الرفاء . وأبى الفتح البُستى

(ب) فى مصر والشام : — ، ترجمة للمتنبى وأمثلة من شعره .
أمثلة من شعر تميم بن المعز . وأبى العلاء المعرى . وابن الفارض وبهاء الدين زهير .

الكتابة : طريقة ابن العميد فى الشرق
القاضى الفاضل فى مصر ، تأثر الكتاب بهما
صور من إنشاء ابن العميد ـ والقاضى الفاضل والعماد الاصبهانى

المقامات : مثال من مقامات البديع الهمزانى .
« « « الحريرى

التأليف : ارتقاء التأليف فى هذا العصر وأسبابه
إشارة إلى كثرة المؤلفات وأهم العلوم التى تناولها التأليف

العصر العباسى الثانى

لمحة فى الحياة الاسلامية، من الوجهة السياسية

تمهيد

أجمع المؤرّخون، على أن عصر الدولة العباسية، هو عصر الإسلام الذهبى فقد بلغ فيه المسلمون من تمام القوة، وتوطيد الملك، وسعة السلطان، ورفاغة العيش، ما لم يبلغوه من قبل ولا من بعد

وهم يقسمون هذا العصر قسمين :

العصر الأول أو عصر النهوض ويمتد من قيام الدولة العباسية سنة ١٣٢ إلى سنة ٣٣٤هـ

العصر الثانى ويسمونه عصر الذبول ويمتد من سنة ٣٣٤ الى سقوط الدولة العباسية سنة ٦٥٦

فأما العصر الأول فقد انتشرت فيه الفتوح وأصبح ملك المسلمين يمتد من الصين إلى جبل طارق، واستتب الامن، وعمّ الرخاء، ونفقت التجارة واستبحر العمران، وقضى الخليفتان الأولان على الفتن والثورات فصفا الجو لمن بعدهما من الخلفاء، وانصرفوا إلى تأثيل الملك وتنظيم موارد الدولة ومصادرها، فامتلأت خزائنهم بالمال، ودانت لهم الممالك، ودرّت عليهم أخلاف الرزق، فانغمسوا فى الترف، وأسرفوا فى الاستمتاع بالملاذ.

ونقلوا عن الأمم العريقة فى مجدها أحسن ما تميزت به : فى فن البناء، وطرق التجارة ، وسياسة الشعوب ، وتوفر لهم ماتوفر لأعظم ملوك العصر الحاضر من رفعة الملك ، وحسن الحال ، ونعيم البال — وكانت حاضرتهم بغداد معرض نبوغهم ومُتحف عبقريتهم وافتنانهم

واذا كانت اللغة مرآة أهلها فقد انعكست عليها حضارة القوم ، وتجلّى فى صفحتها نهوضهم ومبلغ رقيهم ـ وأخذت من سلطانهم ومكانتهم بين دول الأرض، مكانتها اللائق بها بين اللغات : فقد استُخدمت فى السياسة ، وأصول الحضارة ،ومقاصد الصناعة ، وتُرجم اليها كثير من علوم الأمم القديمة ، ودُوّن بها ما وُضع من العلوم التى استدعاها العصر ولم تكن من قبل ، وتناولها التحسين والتهذيب من جميع نواحيها ، فهُجر الحوشى من الألفاظ ، وابتذل السفساف من المعانى ، وجنح القوم إلى التأنق فى نسج العبارات ، وصوغ الأساليب وأبدعوا فى الايجاز والأطناب ـ وهكذا تقرأ أشعارهم فترى فيها رقة أذواقهم ، وصفاء نفوسهم ، ولين طباعهم ، ومقدار استفادتهم من مدنيات الدول المعاصرة ولغاتها ، وتلمس فيها الى جانب الجزالة العربية ، الخيال الفارسى ، والفلسفة اليونانية ، والحكمة الهندية .

* * *

العصر الثانى

وأما العصر الثانى فقد تغيرت فيه الحال عن ذى قبل ، وأصبح من أبين مِيزاته : ظهور سلطة الاعاجم وتقديمهم على العرب ـ وأول من وقع فى هذا الخطأ من الخلفاء : أبو إسحاق المعتصم حين قلّت ثقته بالعرب عضُدِه وساعدِه فأقصاهم عن المناصب الرفيعة فى الدولة ، واستبدل بالجند منهم جيشا من أرقاء الترك : يستظهر بهم فى زعمه على العرب المناوئين له . وعلى

الفرس الذين قامت الدولة على سيوفهم ، ولم يمض غير قليل من الزمن ، حتى استبد هؤلاء الاتراك على جهلهم وسفههم بشئون الدولة ، وأصبح لهم الأمر والنهى فيها فملئوا المناصب العالية بأنصارهم وامتدّ سلطانهم الى أبعد من ذلك فاستطالوا على الخلفاء وصاروا يحبسونهم فى قصورهم ويولّون من يشاءون من صبيانهم المستضعفين ، ويضربونهم ويعزلونهم فسقطت هيبة الخلفاء من الأعين . وزالت مكانتهم من النفوس . وكثر الشّغب . وعمّت الفوضى . واستطارت الفتن إلى الأقاليم ، وعجز المسيطرون من الاتراك اذ ذاك عن إخماد هذه الثورات التى أشعلوها بأعمالهم ، وسوء تصرفهم .

كل هذه الاحداث والمحن ، كان لها فى اللغة نثرها ونظمها ، أثر أىّ أثر فخففت ، من غلوائها ، ووهنت بعد نشاطها ، وتريّث أدبها وتمكّث ، بعد نهوضه وتوثّبه

نشوء الاوطان المستقلة

كان من نتائج ضعف الخلفاء العباسيين آخر أمرهم

ا — أن رأى بعض ولاة الاقاليم التابعين لهم فى ذلك العهد ، أنهم ليسوا دون أتراك القصر الخلفىّ قوة وسلطانا ، ولا أقل منهم عدّة وعددا ، حتى يخضعوا لأوامرهم الصادرة باسم الخليفة المستضعف ، فاستبد كل منهم بولايته . وأعلن استقلاله بها

ب — كذلك رأى زعماء الفرس وسلائل الاكاسرة ، الذين عاشوا يتربصون الدوائر بالدول العربية ، ويتعجلون لها الفناء ، أن الفرص قد سنحت لاسترجاع مجدهم المسلوب ، واستخلاص ملكهم المغصوب ، من أيدى العرب

المستضعفين . والاتراك المعتدين ، فدعوا لأنفسهم ، وأسّسوا بأسمائهم دُويلات وأمارات ـ ولم تقف أطماعهم عندذلك بل ، زحفوا على بغداد حاضرة العباسيين ، فانتزعوا السلطة من أيدى الاتراك ، وحجروا على الخلفاء وكفّوا أيديهم عن شئون الدولة

ح ـ وقد قام رؤساء القبائل العربية النازلين على الفرات والجزيرة وشرق الشام بنصيبهم من الثورة واستبدّ كلٌّ بجهته

ى ـ وهبَّ العلويُّون الذين مالبثوا يطالبون بالخلافة منذ زمن يزيد بن معاوية : يؤسّسون لهم دُويلات بالحجاز واليمن حتى أنشأ الفاطميون وهم شُعبة ، منهم دولة طويلة العمر ، ثابتة الملك ، واسعة السلطان بمصر والشام

هـ ـ وساعدت هذه الظروف أمراء بنى أمية بالأندلس ، فكوّنوا دولتهم ورأوا نفسهم أحق بالخلافة من الخلفاء العباسيين لذلك العهد ، فتلقبوا بألقابهم وتبعهم فى ذلك من جاء بعدهم من الملوك ولو لم يمتّوا لقريش ولا الى العرب بصلة .

وهكذا تشعبت الدولة العباسية وتجزأت إلى دويلات صغيرة كان من أشهرها

(١) الدولة البويهية فى العراق وفارس

(٢) الدولة السامانية فى خراسان وتركستان

(٣) الدولة الغزنوية فى أفغانستان والهند

(٤) الدولة الحمدانية فى حلب والموصل

(٥) الدولة الأموية فى الأندلس

(٦) الدولة الاخشيدية ثم الفاطمية بمصر

وهذه الدول على تباين مواطنها ، واختلاف نصيبها من البقاء — كان بعضها لا يعترف بوجود الخلافة العباسية ، وبعضها يعترف اعترافا اسميا لاأثر له إلا على المنابر أو عند تولية الملوك .

حالة الادب بايجاز

فى العراق ـ وفارس وخراسان ـ ومصر والشام :

هذه الدويلات التى انفصلت من جسم الدولة العباسية ، وتنافست فى الاستقلال وسعة السلطان ، وتميّز بعضها عن بعض : فى الجنس والوطن قد اتفقت جميعها على اتخاذ العربية الفصحى لغة رسمية فى القضاء والتعليم والسياسة والعبادة وذلك

١ — لبسط سلطانها على بلاد عربية

٢ — ولاستيلاء أكثرها على مقر الخلافة

٣ —. ولأنهـا لغة القرآن الذى يؤمنون به ويتعبدون بنصوصه

وقد تبارى ملوك هذه الدول فى معاضدة النهضة العلمية وشد أزر التعليم والعلماء ، فاصطبغت لذلك الآداب العربية ، بصبغة موضعية واختلفت ألوانها باختلاف أوطانها ، وان اتحدت جميعها فى الذوق العربى وطريقة التفاهم والأداء

ذلك الاختلاف الموضعى الذى طرأ على الأدب فى أوطانه الجديدة هو الذى سنجمله لك فيما يلى :

١ — **العراق** : أقام فيه بنو بويه ملكهم بعد استقلالهم ، وانتشروا فيما جاوره من البلدان وكُتب لدولتهم البقاء ، فعاشت أكثر من قرنين تنافس خلالها ملوكها فى نشر العلم وتشجيع أهله محاكاة للخلافة العباسية فى عصرها

الزاهر — وكانوا لا يستوزرون ولا يستكتبون إلا الشعراء والكتاب — وكان عضد الدولة أحد ملوكها ينظم الشعر ولا يخلو مجلسه من العلماء والأدباء وكذلك كان عز الدولة وتاجُ الدولة من بعده — فتسابق الشعراء فى الحظوة لديهم وأسرفوا فى مديحهم وإطرائهم

وأشهر وزراء هذه الدولة : **ابن العميد** والصاحب ابن عباد، وكلاهما من فحول الكتاب فى القرن الرابع وقد انتشرت فى عصرهم الآراء الفلسفية والاجتماعية من الكتب التى ترجمت، وامتلأ أدبهم بكثير من المعانى الجديدة بيد أن الفتن والحروب عجلت البؤس لهذه الدولة ، فنضبت القرائح وأجدبت العقول .

ب — **فارس وخراسان** : أقامت الدولة **السامانية** ملكها فى خراسان وكان ملوكها من سلالة الأكاسرة، وقد تولى الملك منهم عشرة ملوك عرفوا جميعهم بحب العلم والعطف على أهله ، فكانت مجالسهم منتدى العلماء والأدباء ، كما كانت عاصمتهم بخارى نجعة الرائدين ، وكعبة القاصدين ، ولعل من أشهر هؤلاء الملوك المنصور بن نوح — ثم ابنه نوح بن منصور ، الذى اقترح على الشعراء نظم الشاهنامة المعروفة (بالالياذة) — والذى سمع بفضل الصاحب بن عباد ، وسعة علمه وأدبه ، فاستدعاه سرًّا ليستوزره

ومع عطف ملوك هذه الدولة على مجدهم الغابر ، وحنينهم إلى لغتهم القديمة ومع ما شاع فى عصرهم ، من الثقافة الفارسية ، وما تُرجم عن العربية من الشعر والأمثال ، فان الصبغة العربية ما برحت غالبة على الأدب ، والذوق العربى ما زال متمكنا من نفوس شعرائهم ، وكتابهم حتى زالت دولتهم من الوجود وأشعارهم تتميز بامتلائها بالأمثال الرائعة ، والحكم البالغة ، والأوصاف

المشبهة ولهم شغف بالمحسنات البديعية ، والمجازات والتشبيهات والمبالغة فى الذم والمديح والشكوى ، مما جعل أشعارهم كالنثر فى إبداع الصناعة ، والافتنان فى الصياغة.

(ه) **مصر والشام** : ـ من أشهر الدول التى استقلت عن الخلافة العباسية إبان ضعفها وأطولها عمرا الدولة الفاطمية وقد اتخذت مصر مقراًلها وكانت الآداب العربية قبلهم فى دولة الأخشيد : مستضعفة قليلة الحول والطول والشعراء لايجدون للقول مجالا ، ولا يظفرون من ملوكهم بالأذن الصاغية ولا بالذوق العربى الذى يقدر الشعر ويجيز عليه ـ فلما استقر بالفاطميين المقام فى مصر ـ عملوا على نشر العلم ، وأكثروا من المدارس والمكاتب ، وأجازوا العلماء والشعراء ، فسالت القرائح بعد نضوبها ، وأثمرت الأفكار بعد عقمها وأخذ النثر نصيبه من هذه النهضة فتنوعت أساليبه ، ودونت به كثير من العلوم ، وان لم يخلص من الصناعة اللفظية والمحسنات البديعية ـ ولعل من أخلد آثارهم بمصر الجامع الأزهر الذى بناه المعز لدين الله الفاطمى ، سنة ٣٥٩ﻫ وأنت حق عماله من أثر فى نهضتنا الحاضرة

كذلك كان بنو حمدان فى الشام ينافسون ملوك مصر فى موازرة العلم ونشر الثقافة العربية وأشهر هؤلاء الملوك : سيف الدولة بن حمدان ـ الذى عاش المتنبى فى رحابه ، والذى كان يجمع الشعراء فى مجلسه ، فينقد أشعارهم ، ويجيز السابقين منهم ، وله أخبار طريفة مع النامى والرفاء ، والببغاء ، وغيرهم من فحول الشعراء ، يرجع إليها فى مطولات الكتب

وقد اشتهر من آل حمدان ، كثير من الشعراء ، فى مقدمتهم ، أبو فراس ـ ثم أبو زهير وأبو وائل الحمدانى

الشعر

***

اسفادته من الجهود العلمية التى بذلت فى القصر العباسى الأول

***

عرفت أن بغداد كانت فى العصر العباسى الأول مركز الثقافة فى الشرق يقصدها العلماء والأدباء، ويحجّ إليها الكتاب والشعراء ليعرضوا مواهبهم ـ وينشروا علومهم وفنونهم، ثم ينقلب فريق منهم إلى أهله مسرورا، ويبقى أكثرهم فى بغداد، يتقارضون الشعر، ويتحاضرون ويتناظرون، وعطايا الخلفاء جارية عليهم، ونعم الأمراء والوزراء تغمرهم بغير حساب، وقد طاب لهم المقام وتقيّدوا بقيود الاحسان: ومن وجد الاحسان قيداً تقيّدا:

وهذا المجهود العلمى الذى تعاون فيه الخلفاء بأموالهم، والعلماء بنتاجهم كان له أثر أىّ أثر فى رقى الشعر ونهوضه ـ وكانت شهرة الشاعر ورفعة شأنه موقوفة على قدومه إلى بغداد، موطن النقد والمدارسة والرواية، موطن التقدير والجزاء والبذل والعطاء ـ والبائس المحروم من الشعراء من قعد به الجد ولم تسعده الأيام بزيارتها، ولعلّ هـــذا هو السّر فى أنك لاتكاد تسمع خلال هذا العصر بشاعر من الشعراء الذين نشأوا فى أطراف الدولة على كثرتهم وجودة أشعارهم

ولا يزال الأدب العربى زاخرا بأخبار هذه المجالس الشعرية، والمحافل الأدبية، مُشيداً بها فى شىء من المبالغة والإغراق

أضف إلى ذلك شغف المنصور والرشيد والمأمون بالترجمة والتأليف

والتدوين والتصنيف، وإكثارهم منها كان له أثر آخر، فى إنهاض الشعر، لم يتم نضجه، ولم يكتمل هضمه إلا فى هذا العصر الذى نحن بصدده، فظهر الشعر ممزوجا بالفلسفة والمنطق والحكمة، وتجلت آثار هذه الثقافات القديمة والعلوم المنقولة فى معانيه وأساليبه، وظهر فى ثوب قشيب يتجلى فيه جمال الصناعة وروعة الحضارة.

وإذا كانت الدولة العباسية قد انقسمت آخر أمرها إلى إمارات ودول على ما عرفت، فان الشعر قد استفاد من هذا الانقسام، وأصبح مظهرا من مظاهر العظمة ونوعا من ترف الملك ونعيمه. لهذا تنافس الملوك فى تشجيعه ورفع شأنه، وتعدد الشعراء، وكثرت مدائحهم، وطالت قصائدهم، وتنوعت أساليبهم

الاغراض الجديدة فى الشعر

١ ـ الحكمة والفلسفة

كان من نتائج نقل علوم الأوائل وترجمة كتب الأمم القديمة كالفرس والهند واليونان إلى العربية: أن ارتدى الشعر برداء الفلسفة وانتحى ناحية الحكمة وجنح إلى الاقتباس وضرب الأمثال. وكان شعراء العصر الأول يرسلون الكلام على الفطرة فتجىء فيه مثل هذه الحكم والأمثال دون قصد أما فى العصر الثانى فقد تغلغلت هذه المعانى فى الشعر، وأصبحت تُبنى عليها القصائد والمقطوعات وأول ماظهر ذلك فى شعر ابن الرومى فى العصر الأول ثم تجلى بعده فى شعر المتنبى الذى يقول:

ذُو العقل يَشْقَى فى النّعيم بعقله ... وأخو الجهالة فى الشّقاوَة ينعمُ

والظلم من شِيم النفوس فان تجِدْ ... ذا عفّةٍ فلِعلّة لا يظلم

٢ - التصوف

كذلك دخلت فى الشعر كثير من المعانى الفقهية، لظهور **التصوف** فى هذا العصر وشيوعه، وانتشار الزهد وذيوعه . حتى لقد توفر كثير من الشعراء على النظم فيها كابن الفارض والقشيرى ومن أمثلة ذلك قول المعرى

تَعبٌ كلها الحياة فما أعـــجبُ إلّا من راغبٍ فى ازدياد

خُلِق الناس للبقاء فضلّتْ أمةٌ يحسبونهمْ للنّفادَ

إنما يُنْقَلون من دار أعما لٍ الى دار شِقْوةٍ أو رشاد

٣ - أسرفوا فى **المبالغة** حتى خرجوا بها عن الممكنات ، فسمعنا **المتنبى** يقول فى وصف نفسه بالضّعف

كفى بجسمى نحولا أننى رجلٌ لولا محادثتى إياك لم ترنى

وحتى جاوزوا بها ولاسيما فى المديح، حدود العقل والدين، فقال من بعده ابن هانىء الأندلسى فى مدح المعز لدين الله الفاطمى :

ماشئتَ لا ما شاءت الأقدارُ فاحكمْ فأنتَ الواحدُ القهّارُ

ولا ريب فى أن مثل هذا الاسراف قد أفقدها ما كان ينتظر لها من جمال، وصيّرها عيباً من العيوب

٤ - كذلك توسعو فى بعض الاغراض الاجتماعية حتى صيروها أبواباً مستقلة **كالاخوانيات ، والمحاورات والمعارضات والمداعبات وشكوى الزمان** فقال شاعرهم :

يا دهرُ ما أقساك يادهرُ لم يحظَ فيك بطائل حرٌّ

أمّا اللئام فأنت صاحبُهم ولهمْ لديْكَ العطْفُ والنّصْرُ

تأثر الشعر بالصناعة اللفظية

فى العراق وفارس وخراسان

لبثت بغداد موطن جهود العلماء، ومجمع إنتاج الشعراء والأدباء، حتى ضعف الخلفاء، فهجرها كثير من الشعراء والأدباء إلى فارس والعراق وخراسان مُهاجِرِ النّهضة الجديد، حيث تقيم الدولة الفتيّة، وحيث تنفق سوق الشعر، ويلتق رُوّاده، ومنشدوه — وإذْ كانوا فى وطن له مجد عريق، وحضارة تليدة، وثقافة واسعة- وكان ملوك هذه الدول توّاقين إلى بعث هذا المجد، وإحياء تلك الثقافة — لم يكن عجباً أن يتأثر الشعر العربى فى هذه البلاد بتلك الأمور السالفة جميعها. فتظهر فيه كثير من المعانى الجديدة، والخيال الفارسى، وتنتشر فيه الاصطلاحات العلمية: من فقه، وطب، وفلسفة ورياضة، وقد شابت لذلك أساليبه كثير من الأشكال المنطقية، وضروب الجدل، وزادت العناية بالمعانى وامتزج بكثير من حكم الفرس وأمثالهم التى ترجمت قبيل ذلك العهد

وإذا كان شعراء العصر الأول لا يعمدون الى المحسنات البديعية إلا عند التّظرف والمفاكهة وكان لكل منهم من جزالة البادية، ومن الذوق العربى الخالص، أساس مذخور، وحظ موفور، يحولان بينه وبين الاسفاف والابتذال، فان شعراء هذا العصر قد أسرفوا فى استعمال هذه المحسنات وغالوا فيها حتى صارت صناعة رائجة يُقْرَن بها السبق والفوز، ويتفاضل الشعراء بمقدار نصيبهم منها.

بيد أن هذه الصناعة على ذيوعها و تغلغلها فى أشعارهم ، لم تفسد أذواقهم ولم تطغ على قرائحهم طغيانها فى مصر والشام ـ ولا يزال أكثر شعراء هذه البلاد ينسب إليهم كثير من الشعر الرائع الرصين فى معناه ، الجميلِ العذبِ فى مبْناه كالسرى الرفاء ـ ومهيار الديلمى ـ والشريف الرضى ـ وأبى الفتح البستى الذى إمتلأ شعره بالمحسنات، ولا تقع العين فيه على ـ عيب ومن أمثلة ذلك قوله :

زيادةُ المرْء فى دنياه نُقصانُ ... وربحه غيرُ محْضِ الخير خسرانُ

أحسنْ الى النّاس تستعبد قلوبهم ... فطالما استعبْدَ الانسانَ احسانُ

١ — ترجمة

الشريف الرضى

هو الشاعر القرشى ، أبو الحسن بن الطاهر ، ينتهى نسبه الى الحسين بن على ابن أبى طالب ، فهو أشرف الشعراء نسبا ، وأكرمهم نجارا

١ — نشأته وثقافته

ولد الشريف الرضى ببغداد سنة ٣٥٩ ونشأ فى ذلك العصر ، الذى كانت تتنافس فيه الدول الخارجة على الخلافة العباسيه ، فى نشر العلم والأدب ، وتتسابق فى استقدام الشعراء ، وإكرامهم — وقد نضجت العلوم واكتمل نموها ، فقرأ كثيرا من كتب الأقدمين ، ووجه عنايته إلى علوم الدين ، وأكبّ على اللغة العربية لحذق فنونها ، واستجمع شواردها وبدأ على حداثة سنّه ، يؤلف الكتب فى الأدب والدين والتاريخ — وأغرم بآثار جدّه الامام علىّ . فجمع كل مانسب إليه ، من خطب ورسائل ، وحكم ونصائح فى مجلد كبير هو المعروف (بنهج البلاغة) — والذى يزعم بعض المؤرخين للادب أن أكثره من وضعه هو لشدة ، تمكنه من اللغة ، وبلوغه الغاية فى البلاغة — وكان لشغفه بالقراءة ، واشتغاله بالآداب العربية أثرٌ فى إرهاف حسّه ، وترقيق وجدانه ، فنظم الشعر قويا رائعاً وهو فى الخامسة عشرة من سنه

وقد كان أبوه يتولى نقابة (١) الاشراف الطالبيّين ، وفى سنة ٣٣٨ عهد

---

(١) نقيب القوم : عريفهم وكافلهم ومسموع الكلمة فيهم

إليه بها أبوه فاتخذ (سُر من رأى) مُقاما ، وبدأ يشتغل بالعلم والأدب ، والتأليف والتصنيف ، حتى صار من كبار الشعراء ، وفاق معاصريه من الكتاب والادباء - ولا يعرف تاريخ الأدب شاعراً قرشياً غيره . أكثر فى إجادة ، وأطال فى إحسان

ب — أخلاقه وصفاته

كان الشريف الرضى يستشعر ما يتميز به من رفعة النسب ، وشرف المحتد وعلوّ المنزلة - فكان دائماً أبىّ النفس ، عفّا ورعا ، متقشّفاً زاهدا فى الدنيا ، كثير العطف على أهله ، رفيع المكانة بيْن الناس مهيبا فى عيونهم - وستراه فى شعره يتمدّح بنسبه ، ويتحدث بكرم أخلاقه ، ويفخر بشرفه وسمو منزلته

— شعره

أكثر عناية الرضى بالمعانى الرصينة ، فهو يَنْشُدها ، ويَجْهد فى الحصول عليها جهد الغواص الماهر ، على اليتيم من دُرّه وليس من طبعه تصيّد الخيال الشادر ، ولا إعمال الفكر فى تخير الالفاظ ، متى استوت أمامه الفكرة وحضرته المعانى - ويكاد يكون شعره مرآة لنفسه التى هذبتها التجارب وأفعمتها الأيام بالحكم والعظات ، ترى فيه إباءه وعزة نفسه واضحة جالية كما ترى فيه صلاحه وحبه للفضيلة ، وميله الى الأخلاق الحميدة ، وقد امتزج شعره بكثير من الفلسفة ، واشتمل على ضروب من التصوير النفسى ونقد الاجتماع وشكوى الزّمان ، والتهكم بالدنيا وطالبيها ، وله مطولات مُمْتعة حافلة بالنظرات العميقة : فى أسرار الحياة ، وحقائق الكون ، وشرح خفايا النفوس ، وتصوير طباع الناس وأخلاقهم - وقل أن تخلو قصائده من أنفة وإباء ، ينمان عما لا يقصده من عُجب وخُيَلاء

ولقد يجمع به هذا التعمّق وذلك التّغلغُل فى بواطن الأمور الى البعد عن روح الشعر ، وما يتطلب من خيال بديع أو أسلوب رائع -

وأكثر الاغراض التى نظم فيها وأجاد : هى الفخر - والمديح - والرثاء - والحكم - والشكوى - وقد يكون أقلها العتاب - والهجاء - والغزل والنسيب وإنّا ذاكرون لك فيما يلى مثالا لكل غرض من هذه الأغراض : —

١ — الفخر: كان له من كرم أصله وشرف نسبه ما ساعده على بث هذا الغرض فى شعره . وقلّما افتخر بغير الحق ، أو ادّعى ما ليس فيه - ومن أمثال ذلك قوله يفخر بآبائه وأجداده

غناءُ ظُبَاتنا عويلُ النساءِ وقرع قَنَاتنا لِطامُ اللِّمَمْ
أليس أبونا أعزّ الورى جنابًا وأكرمَ خالًا وعمّ
أسرةَّ كفّيه عمرَ الزمان جداول ماء الرّدى والكرم
فإما تفيض بغمر النوال على المعتفين وإما بدم

وقوله يفتخر بكرم أخلاقه وعلو نفسه

لئن تك سنى ما تطاول باعها فلى من وراء المجد قلب مدرب
وللحلم أوقاتٌ وللجهل مثلها ولكن أوقاتى الى الحلم أقربُ
فلا أعرفَ الفحشاء إلا بوصفها ولا أنطق العوراء والقلب مغضبُ
ولستُ براضٍ أن تَمسّ عزائمى فُضالاتُ ما يعطى الزمان ويسلبُ
غرائب آداب حبانى بحفظها زمانى وصرف الدهر نعم المؤدّب
أَعدّ لفخرى فى المقام محمداً وأدعو علياً للعلا حين أركب

٢ — المديح : أظهر ما تتميز به مدائح الشريف الرضى امتزاجها بالفخر والمديح لنفسه ولقومه ، ولعل ذلك راجع إلى شعوره بالعظمة ، وإعتداده بمنزلته على نحو ما تراه فى مدائح المتنبي فلا خضوع فى مدائحه ، ولا ذلة ولا استكانة - يقول فى مدح الخليفة القادر بالله

عطفاً أميرَ المؤمنين فإننا ‏ ‏ فى دوحة العليا لا نتفرقُ
ما بيننا يوم الفخار تفاوت ‏ ‏ أبداً كلانا فى المعالى مُعرّقُ
إلا الخلافة ميّزتك فاننى أنا ‏ ‏ عاطلٌ منها وأنت مُطوّق

وقد تمتزج هذه المدائح أحياناً بالمبالغة كما فى قوله يمدح سابور بن أزدشير

نضت بتُ شبابا لم أنل فيه سُبّةً ‏ ‏ على أن شيطانَ البطالةِ ماردُ
وكل فتى لم يرض عن عزمةِ القنا ‏ ‏ ذليلٌ ولو ناجى علاه الفراقدُ
ولولا الوزير الأزدشيرىُّ وحدهُ ‏ ‏ لغاضَ المعالى والندى والمحامدُ
وسد طريق المجد عن كل سالك ‏ ‏ وضاقت على الآمال هذى الموارد

٣ — الرثاء : برع الشريف الرضى فى الرثاء حتى قال مؤرخو الأدب إنه أجود الاغراض التى نظم فيها - ولمراثيه سمة ظاهرة هى مزجها بالحكم والفلسفة ، وميله فيها إلى الوعظ والارشاد ، فلا يتكلف المعانى ، ولا يعدد محاسن الموتى ، كما كان يفعل معاصروه ، ولعل من أشهر مراثيه قصيدته التى رثى بها أبا اسحاق الصابى وفيها يقول

جبلٌ هوى لو خرّ فى البحر اغتدى ‏ ‏ من وقعه متتابعَ الازبادِ
ما كنت أعلم قبل دفنك فى الثرى ‏ ‏ انّ الثرى يعلو على الاطواد
بعدا ليومك فى الزمان فانه ‏ ‏ أقذى العيُون وفتّ فى الأعضاد

كيف انمحى ذاك الجناب وعُطّلت   تلك الفجَاجُ وضلَّ ذاك الهادى
طاحت بتلك المكرمات طوائحٌ   وعدت على ذاك الجواد عواد
أعزز علىّ بأن يفارق ناظرى   لمعانُ ذاك الكوكب الوقاد

وقد لامه بعض المتطرفين فى الدين على رثائه أبا اسحاق لانه كان صائبا فقال (انما رثيت فضله وأدبه)

ولا تقلُّ مرثيته لأمه عن سابقتها روعة وبلاغة - بل قد تفضُلها فى رأينا لشدة حزنه عليها، وعمق تأثره لفراقها، وهى طويلة نجتزىء منها بما ياتى: —

فارقتُ فيكِ تماسكى وتجمّلى   ونسيت فيك تعززى وإبائى
كم زفرة ضعفت فصارت أنة   أتممتُها بتنفس الصعداء
قد كنت آمل أن أكون لكِ الفدى   مما ألمّ فكنتِ أنت فدائى
وتفرق البعداء بعد مودة   صعب فكيف تفرق القرباء
لو كان مثلك كلُّ أم برةَ   غَنِىَ البنون بها عن الآباء
زرآن يزدادان طولَ تجدُّد   أبدَ الزمان فناؤها وبقائى

٤ الحكم : لم يفرد لهذا الغرض قصائد من شعره ولكنه كان يطرزه بها ويضمّنه إياها حتى لا تكاد تخلو قصيدة له من الحكم، وأكثر ما يكون ذلك فى المديح والرثاء - ونحسب أنه لم يقصدها، وانما جاءت نتيجة لتجاربه الطويلة، وامتلاء نفسه بالعبر والعظات — وحكمه كحكم المعرىّ تبدو فيها الفلسفة وكثرة التعمق والتامل - استمعْ إليه إذْ يقول :

وكم صاحبٍ كالرمح زاغت كعوبه   أبى بعد طول الغمْز أن يتقوما
كعضو رمتْ فيه الليالى بفادح   ومن حمل العضو الأليم تألّما

إذا أمر الطبُّ اللبيب بقطعه ... أقول عسى، ضنّاً به ولعلما (١)
دع المرء مطويّاً على ما ذممته ... ولا تنشر الداء العُضال فتندما
إذا العضو لم يؤلمك إلا قطعته ... على مضض لم تُبق لحماً ولا دما
ومن لم يوطن للصغير من الأذى ... تعرض أن يلقى أجلّ وأعظما

٥ – **الشكوى** : كان الشريف الرضى متهكما بالحياة – متبرما بصروفها التى ترفع اللئام، وتخفض الكرام، وتقف دون غاياته ورغائبه، وقد تجهلت هذه المعانى فى شعره فسمعناه يقول :

أعاتب أيامى وما الذنب واحد ... وهنّ الليالى الباديات العوائد
وأهون شيء فى الزمان خطوبه ... إذا لم يعاونها العدو المعاند
وكيف تلذُّ العيشَ عينٌ ثقيلةٌ ... على الخلق أو قلبٌ على الدهر واجد (٢)
وناضب مال وهو فى الجود فائض ... وناقص حظٍّ وهو فى المجد زائد

٦ – **الغزل** : أما غزله فعف لا هجر فيه ولا فحش يجرى فيه على طريقة المتقدمين من شعراء الجاهلية وصدر الإسلام وإن تعمّد فيه السهولة والرقة ومن أمثال ذلك قوله

يا ظبية البان ترعى فى خمائله ... ليهْنك اليوم ان القلب مرعاك
الماء عندك مبـذولٌ لشاربه ... وليس يرويك إلا مَدمعُ الباكى
وعدٌ لعينك عندى ما وفيتِ به ... يا قرب ما كذبتْ عينى عيناك
حكت لحاظك مافى الريم من ملح ... يوم اللقاء فكان الفضل للحاكى (٣)
كأن طرفك يوم الجذع يخبرنا ... بما طوى عنك من أسماء قتلاك (٤)
أنتِ النعيم لقلبى والعذاب له ... فما أمرّك فى قلبى وأحلاك

---

(١) الطب : الطبيب الماهر (٢) واجد هنا : حاقد (٣) الريم : الظبي
(٤) الجزع : اسم مكان

ى — أسلوبه

فطرىٌّ سلس . بليغ فى غير تكلف ، جزل دون تعقيد ، تغلب عليه المحاكاة أحيانا للمتقدمين كالمتنبى والبحترى وابن الرومى —

وحمادى القول أن أسلوب الرضى كأديم الصحراء كثير النجاد والوهاد ، ترى فيه أمثال قوله :

نهيتكمو عن ذى هَماهم مُشْبل ... حمى بجنوب السيء ضالا وغرقدا
يجرّ أسابىّ الدماء وراءه ... مجرّ الخليع الشرعبىّ المعضّدا

إلى جانب قوله :

إياك أن تسخو بوعـ ... ـد ليس عزمك أن تفى بهْ
فالصدق يحسن بالفتى ... والكذب يحسب من عيوبه

مثل من شعر

مهيار الديلمى — والسرى الرفاء — وأبى الفتح البستى

١ — مهيار

هو أبو الحسن مهيار ابن مرزويه . مجوسىّ من بلاد الديلم ، أسلم على يد الشريف الرضىّ وتخرّج عليه فى نظم الشعر ، وعنه أخذ جمال الأسلوب وتطويل القصائد ، وصفاء الديباجة ، وسَعة الخيال ، وهو شاعر مطبوع يمتاز شعره بالطرافة والابتكار كما يمتاز بالرّقة والسّلاسة ، والبعد عن الغموض والإغراب ، وأكثره فى الفخر ، والمديح . وفيه تتجلى آثار الثقافة الفارسية ولاسيما فى وصف ما يحيط به من الأشياء — وقد عاش فى بغداد ومات بها سنة ٤٢٨ هـ

مُثل من شعره

١ — قال فى الفخر

قومىَ استولوا على الدهر فتىً ... ومشوا فوق رؤوس الحقب
عمّموا بالشمس هاماتهمُ ... وبنوا أبياتهم بالشهب
وأبى كسرى على إيوانه ... أين فى الناسّ أب مثل أبى
قد قبستُ المجدَ من خير أب ... وقبستُ الدّين من خير نبى
وضممتُ المجد من أطرافه ... سؤددَ الفرس ودين العربِ

٢ — وقال فى وصف الشموع

إذا وقفْن صفوفاً للدجى ثبتتْ ... أقدامهنّ له والهام تنهزم
تزداد نوراً إذا أبصارها انتُقِصتْ ... قصّاً وتثبتُ إماجزّت اللممُ
من كل خافقة الأحشاء ساكنةٍ ... تضاحك الليل والأحشاء تنْسجمُ
هيفاء رقتها فيها وصُفرتها ... من صحة وهُما فى غيرها سقَمُ
قامت على فرْد ساقٍ مالها قدمٌ ... تشكو الجوى بلسان ماحواه فمُ

٣ — وقال فى الغزل:

هبينى أستر النجوى ... أليس الدمع يفضحُنى
لسانى فيك أملكه ... ودمع العين يملكُنى

---

(١) الحقب : السنين والهامة : الراس كسرى : ملك الفرس وايوانه : قصره والسؤدد : الشرف (٢) الجوى : الحزن

ب – السرىّ الرفاء

هو السرى ابن أحمد الكندى – نشأ بالموصل رفّاء ومطرزا – وأولع بالشعر من صغره، فلزم الشعراء والأدباء، وعالجه فى صباه، فأسعفه وواتاه، مدح سيف الدولة فى حلب، والوزير المهلبى فى بغداد ولبث فى كنف كل منهما من عمره سنين، وما زال ينتقل بشعره فى الشرق حتى أثرى بعد عدم، وأيسر بعد إملاق وبزّ أقرانه من الشعراء – توفى سنة ٣٦٢

وهو شاعر خفيف الروح، رقيق التعبير، مرهف الحس. خالط العامة، وعاشر الخاصة، ولهذا جاء شعره حافلاً بالفكاهة الحلوة، والنكتة البارعة، إلى جانب الأدب الرفيع – والخلق الوديع

وهو على ضآلة حظه من البلاغة وحرمانه الثقافة المنتظمة الجامعة، كان شائق الأسلوب، قليل التكلف متواضع الخيال. وأكثر شعره فى الوصف والغزل والهجاء. وله مُلحٌ ودعابات – تزيل الهموم وتضحك الثاكلات

مُثل من شعره

١ – قال فى مدح سيف الدولة :

أغر إذا امتدت يد الدهر كفّها ... ببيض صِفاحٍ أو ببيض أياد
تروع النّدى أمواله بنفادها ... وما رِيعَ مجد عنده بنفاد
إذا امتزج المعروف بالبشر عنده ... غدا الحمد ممزوجا له بوداد
يبيت وحدُّ السيف خلٌّ مبيته ... لديه وجفنُ السّيف خلُّ سهاد
يصعّد أنفاس العدوّ إذ نَمى ... إليه المنايا فى ظُباً وصعاد

٢ – وقال فى وصف قصر

مجلس فى فناء دِجلة يرتا ... حُ إليه الخليعُ والمستورُ
طائرٌ فى الهواء فالبرقُ يسرى ... دون أعلاهُ والحمام يطير

فاذا الغيمُ سار أسْبَلَ منْه ... حاملٌ دونَ جذرِه وستُور
وإذا غارت الكواكبُ صبْحاً ... فهو الكوكب الذى لا يغُورُ

٣ - وقال فى عتاب صديق أذاع له سراً

سأحفظ مابينى وبينك صائناً ... عهودك إن الحرّ للعهدِ صائنُ
وألقاك بالبشر الجميلِ مُداهِناً ... فلى منك خلٌّ ماعلمتُ مداهنُ
أنمُّ بما استودعته من زُجاجةٍ ... ترى الشئ فيهاظاهراً وهو باطنُ

وما زال أديبَ عصره ، وواحد زمانه ، حتى مات ببخارى سنة ٤٠٠ ﻫ

٣ - أبو الفتح البستى

هو الشاعر الرقيق والكاتب المبدع ، أبو الفتح على بن محمد البستى ، اتخذه صاحب مدينة (بوست) ببلاد فارس كاتبا له ، ولما صارت هذه المدينة إلى سُبُكتكين أبقاه ، فى منْصبه وفوّض له أمور الدولة وجعله موضع سره ، وقد كلِف بالمحسنات البديعة ، ولاسيما الجناس فطرّز بها نثره ووشّى بها نظمه

وشعره حافل بالمعانى الرصينة ، والألفاظ المختارة وإن كانت الصناعة والتعمّل واضحين فيه — وله مقطوعات بديعة فى الحكم والأمثال — وأبيات رقيقة فى الوصف والغزل

مُثل من شعره

١ — قال فى الحكم :

ياخادم الجسم كم تسعى لخدمته ... أتطلب الربح فيما فيه خسران
أقبلْ على النفس واستكملْ فضائلها ... فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان
أحسنْ إلى الناس تستعْبدْ قلوبهم ... فطالما استعبدَ الانسان إحسانُ

٢ — وقال فى الفخر : —

قالوا رضيت بدون حقك والغنى ... يسمو بصاحبه إلى العلياء
فأجبتهم والقول منى فيصل ... يحكى غِرارَ السيف وقت مَضاءِ (١)
حسبى التكثر بالفضائل إنها ... ذخرى ليومى شدة ورخاء
وإذا تمادى معشر فى مفخرٍ ... كنت الأحق بسؤددٍ وعلاء
وغناى فى دنياى أشرف زينة ... من أن يكون بنيلها استغنائى

٣ — وقال فى الغزل : —

خذوا بدمى هذا الغزالَ فإنه ... رمانى بسهمى مقلتيه على عمْدِ
ولا تقتلوه إننى أنا عبْدُهُ ... وفى مذهبى لا يُؤْخذ الحرُّ بالعبْدِ

(١) غرار السيف : حده

تأثر الشعر بالصناعة اللفظية

فى مصر والشام

١ — دانت مصر فى هذا العصر لثلاث دول عرفت أن الفاطمية كانت أكرمها على الأدب ، وأعطفها على الشعراء ، وأن ملوكها كانوا من سلائل عربية يفهمون الشعر ويجيزون عليه ، وكانت لهم مجالس مناظرة ومحاضرة تشبه فى قليل أو كثير مجالس العباسيين فى العصر الأول ببغداد — لذلك ازدحم الشعراء على أبوابهم وتباروا فى مدحهم وكان منهم المحسن ومن دونه فى الاحسان — بيد أن أشعارهم فى جملتها كانت متأثرة بالصناعة اللفظية الى حد بعيد ، فقد كثر فيها الجناس والاقتباس والتضمين والتوجيه وامتزجت بالدعابة ، وحفِلت بالألغاز ، وكثر فيها السجع ونحوه من صنوف البديع ، وزادت العناية بالألفاظ زيادة طالما ذوت بجانبها المعانى وخفِى المراد من الكلام — واذا كانت هذه الصناعة اللفظية لم يظهر سىء أثرها فى شعر بعضهم لرقته ومكانته من اللغة ، كالبهاء زهير وابن الفارض ، فقد ظهر فى أشعار غيرهما من الشعراء الذين نبتوا فى هذا العهد — واذا كانت هذه الصناعة قدطغت فى عصر الفاطميين على ماعرفت فقد كان طغيانها فى عصر الأخشيديين أشد وأعظم لجهل الملوك باللغةواحتياج الشعراء الى إرضائهم بهذه الزخارف اللفظية التى انتشرت فى عهدهم وأصبحت مقياس الغلبة والسبق بين الشعراء

ب — أما الشام

١ — فلقربها من بلاد العرب ؛ واختلاف كثير من سكان البادية إليها

٢ — ولكثرة اتصالها بالعراق منشأ الحضارة الاسلامية

٣ — ولقيام الدولة الحمدانية بها وهى عربية خالصة قدّمنا لك مدى حبّها للشعر وإيواء ملوكها للشعراء، ولا سيما سيف الدولة الذى كان سليم الفطرة، عربىّ الذّوق

لكل أولئك الاسباب احتفظ الشعر بمكانته فظلّ قوى الأسلوب سامى المعنى، ولم يتأثر بالصناعة اللفظية إلا فى أواخر هذا العصر الذى نحن بصدده بيد أن الصناعة لم تطغ عليه كما طغت على الشعر المصرى

٤ — أضف الى ذلك أن أيام هذه الدولة كانت على قصرها أيام حروب وفتوح فكان الشعراء يسيرون فى ركاب الفاتحين يتغنون بانتصاراتهم ويتمدحون بشجاعتهم، ويصفون للناس وقائعهم والصناعة اللفظية قليلة الحظ فى مثل هذه الأغراض

وأشهر الذين ذاع صيتهم فى هذا العصر بمصر — هم: البهاء زهير — وابن الفارض وعمارة اليمنى — وتميم بن المعز

وأشهر شعراء الشام المتنبى — والمعرى — وأبو فراس الحمدانى — وسنعرض عليك مثلا من شعر كل منهم :

---

٣ — ترجمة

المتنبي

هو حكيم الشعراء ، وشاعر الحكماء ، وأول ثلاثة بلغوا بالشعر غايته ، وانتهوا به الى حيث ينتهى الكمال ، وتنقطع الآمال والأوهام ـ أحمد بن الحسين بن عبد الصمد الجُعفى الكندى — ولا نعلم شاعراً أوتى من حسن الحظ ، وبعد الشهرة ، وعناية الكتاب والأدباء ، ما أوتى هذا الشاعر ، ولا تزال ذكراه بعد ألف سنة ، ومكانته من الأدب تنمو مع الزمن ، وتذرُّ بها الشمس للقاصى وللدانى — لذلك نقتصر فى هذا البحث على القدر الذى يصوره فى إجمال ، ويتسع له فراغ الطالب دون اخلال ولا املال

١ — نشأته وثقافته

ولد بالكوفة سنة ٣٠٣ فى محلة تسمى كندة وإليها انتسب ، وكان أبوه سقاء بالكوفة وفارق الحياة ، وابنه فى ريعان صباه بعد ما قدم به الشام ، وطاف به فى حواضرها وبواديها

وقد عاش المتنبى فى الكوفة موطن كثير من العلماء والأدباء فى ذلك العصر ، وتلقى دروس العربية الأولى من شعر ونثر ، فى (كتّاب) بها كان يجمع أبناء الأشراف والعظماء ، ويرجح عندنا أنه لم يحفظ القرآن ، وان وردت فى شعره كثيرٌ من الإشارات إلى قصصه

وبعد أن استوفى نصيبه من ذلك الكتّاب ، رجع إلى البادية ونزل فى بنى كلب ، فلبس فيهم من عمره سنين ، يتفقه فى اللغة وأساليبها ، ويأخذ عنهم فصيحها وغريبها ، وكانت لا تزال صحيحة مبرأة من الشوائب — ثم عاد

إلى الكوفة كما يقول أهلها إذ ذاك بدوىّ الذوق واللسان، لا يُسأل عن شىء إلا استشهد فيه بكلام عربى ، فلزم العلماء وصحب الوارقين حتى روى نفسه الظامئة

وما زال مُكبًا على مدارسة العلم وحفظ الشعر يقضى نهاره فى الدرس والمطالعة ويقوم الليل إلا قليلا بين كتب اللغة ودواوين الشعراء — وكان قوى الحافظة سريع الخاطر ، يطيل النظر فى الصحيفة ثم يطويها فاذا هو قد حفظها ، وما زال كذلك حتى ذاع صيته على حداثة سنه ، ودوّى فى الآفاق ذِكره — وكان شديد العناية والحرص على ديوانى البحترى وأبى تمّام كما تدل على ذلك تصحيحاته التى وجدت على حواشى كل منهما بعد وفاته — كما أعجب بابن الرومى وحفظ أكثر شعره — وهؤلاء الثلاثة هم أساتذة الشعراء فى أزهى عصور اللغة

وهكذا كان كلما رحل إلى بلد من البلاد وما أكثر رحلاته ، قصد أدباءها وعلماءها ، إمّا الأخذ عنهم أو لمناظرتهم ومساجلتهم ، وحسبك دليلا على علمه باللغة وإلمامه بها ، أن تعلم أنه عندما زار مصر ، جلس فى جامع عمرو ينشد الشعر ، ويتحدث بغريب اللغة ، وليس فى مجالسه يومئذ أعلم منه — وأن ابن العميد قد قرأ عليه ديوان اللغة فى أرّجان كما قرأ عليه غيره من أدباء بغداد وشيراز

ب — طرف من أخباره : —

كان المتنبى كثير الطموح ، عالى النفس ، فسيح الآمال وفى سبيل ذلك تحمّل المشاق ، وعانى الصعاب ، وأصيب من حدثان الدهر بما لم يصَب به شاعر قبله ، وكأنه قد عنى نفسه بقوله : —

وإذا كانت النفوس كبارا   تعبت فى مُرادها الأجسام

ا — فلم يقنع بما تنقطع عنده آمال غيره من الغنى والشهرة من طريق الشعر والأدب ، بل طمع فيما يطمع فيه الملوك من الفتح والنصر وسعة السلطان فدعا إلى بيعته قبل أن يبلغ العشرين من عمره قوما من الذين افتتنوا بشعره والتفوا حوله — وحين إذ كاد يتم له ما أراد ، اتصل نبؤه بوالى المدينة فقبض عليه وحبسه ، ثم استعطفه بقصيدة طويلة من أجمل أبياتها قوله : —

أمالكَ رقى ومَن شأنه هباتُ اللجين وعتق العبيد
دعوتك لما براني البلى وأوهن رجلى ثقلُ الحـــديد

فلما قرأها الوالى عفى عنه وأطلقه

ب — وحينئذ عجز عن نيل الملك وصفرت يده من وسائله طلب ماهو أسمى منه ، فخرج فى سنة عشرين وثلاثمائة إلى بادية السماوه (١) وأقام فى أهلها مدة فتنهم خلالها بشعره وأسر قلوبهم ببلاغته ثم ادعى النبوة فيهم وأخذ يتلو عليهم كلاما زعم أنه قرآن أنزل عليه .

فاستجاب لدعوته بعض أغرار العرب وشاع أمره فخرج عليه أمير حمص من قبل الاخشيد وأسره هو وأتباعه وزج بهم فى غيابة السجن . وما زال فيه حتى كادت تتلف نفسه ، فاستتابه الأمير وأطلقه بعد ما أخذ عليه العهود والمواثيق ألا يعود إلى دعواه .

حـ — خرج المتنبى من السجن وقد لصق به ذلك الاسم وكأنه قد أراد بعد ذلك أن يقنع من دهره الضنين بالشهرة الأدبية التى نالها والتى يمكن أن ينالها بشعره فيما بعد ، فلزم الكوفة ، وبدأ ينظم القصائد فى أغراض مختلفة فسمع به الملوك والأمراء ، وتسابقوا إلى إستدنائه بالجوائز فدنا حتى انتهى إلى سيف

(١) يزعم بعض المؤرخين أنه ادعى النبوة إبان اقامته فى بنى كلب تلك الاقامة التى أشرنا اليها من قبل ، وان الذين بايعوه لفيف من ابنائهم — ولكن هذا الرأى ضعيف فى رأينا لحداثة سنه يومئذ من جهة — ولاجماع المؤرخين من جهة اخرى على انه ذهب ليتعلم منهم اللغة لا ليسحرهم بما أعاروه منها بيد أن هذه الرواية فيها خلاف طويل وأكبر الظن أنه لم يتنبأ وانها مختلفة عليه

الدولة ابن حمدان فألقى عصا التسيار ، وأقام فى كنفه تسع سنين كان فيها شاعره المقدّم فى مجالسه ، الغارق فى نعمته ، يصحبه فى غدواته وروحاته ، ويسير فى ركابه محاربا ، ولا يفارقه مسالما ، وقد مدحه بقصائد خالدة سارت بها الركبان ، وتحدث بها الأدباء فى كلّ مكان

وكانت هذه العناية التى صادفها ، المتنبى من سيف الدولة وتلك المكانة التى سعد بها عنده ، سببا فى تألّب الحسادين عليه ووشايتهم به ولا سيما أبى فراس الحمدانى ، الذى غلبه المتنبى على مكانته عند ابن عمه سيف الدولة .

وما زال فى رحابه ناعماً مترفا ، حتى وقعت بينه وبين ابن خالويه مؤدب الملك مناقشة غضب لها فوثب على المتنبى وضربه فى وجهه بمفتاح كان معه فشجّه ولم ير المتنبى من سيف الدولة دفاعا عنه كما كان ينتظر ، فترك مجلسه وخرج غضبانا أسفا

د — وبعــد خروجه من حلب اتجه إلى مصر والتقى بكافور الأخشيدى ومدحه ، فأُعجب به وبشعره ، وأجزل له العطاء وقرّبه حتى صار يخرج كما يخرج الملك فى حُـرّاس وحجّاب ، ثم تغالى فى مطالبه ، فتمنى على كافور أن يوليه إمارة أو ولاية فى مصر أو فى الشام — ولكن كافور خاف أطماعه وخشى مغبة طموحه فأعرض عنه ونأى بجانبه — وعُـوتب فى ذلك فقال (ياقوم من ادعى النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم ألا يدعى الملْك بعد كافور) .

هـ — وأبت على المتنبى نفسه العالية أن يصبر على هــذا الصدود والاعراض ، فخرج من مصر ليلة العيد وهو يكاد يتميز من الغيظ ، وأمّ الكوفة ، وفى طريقه إليها أنشد قصيدته المعروفة التى يقول فى مطلعها : —

عيد بأيّة حال عدت ياعيد   بما مضى أم لأمرٍ فيك تجديد

وثم ذهب من الكوفة إلى بلاد فارس فامتدح عضد الدولة ابن بُويه ونال من كرمه وحسن عطائه ، ثم قفل راجعاً إلى بغداد ومعه ابنه وغلامه حتى إذا كانوا بالقرب من النعمانية إلى الجانب الغربى من سواد بغداد خرج عليهم فاتك بن أبى جهل الأسدى فى جماعة من بنى ضبّة وكان المتنبى قد أقذع فى هجائه ، فلما أحس ضعفه واستشعر هزيمته عمد إلى الفرار فقال له غلامه : لا يتحدث الناس عنك بالفرار وأنت القائل : —

الخيل والليل والبيداء تعرفنى   والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فكرّ راجعا وما زال يُقاتل حتى قُتِل هو وابنه وغلامه .

أخلاقه وصفاته . —

كان المتنبي شجاعا مقداما ، قوى الارادة ، عالى الهمة عارفا لنفسه حقها ، كثير التشبه بالملوك ، طالما دخل عليهم متقلداً سيفه ، وكثيرا ما أنشدهم وهو جالس — وكان عفّا قليل المزاح ، لا تعرف القناعة سبيلا إلى نفسه ، حريصا على الدنيا ، شحيحا بما فى يده — وأظهر الأخلاق التى تميز بها على الشعراء ، هى الاباء والطموح وعلو النفس

يظهر ذلك أولا فى حمل الناس على مبايعته — ثم فى ادعائه النبوة — ويظهر ثانيا فى موقفه الأخير من سيف الدولة ولىّ نعمته ، ومصدر سعادته وشهرته ، وتركه صحبته لتوانيه فى الدفاع عنه .

ويلازمه هذا الاباء فى مصر ، فيتركها بالليل ساخطا مغضبا ، لأنه رأى فى إعراض كافور إهانة لا تقبلها نفسه ، ولا يحتملها كبرياؤه — وإنك لترى هذا الاباء واضحا فى مثل قوله لسيف الدولة : —

ما كان أخلقنا منكم بتكرمة   لو أن أمركمُ من أمرنا أممُ (١)

ويخيل الينا أن هذا الاباء وذلك الكبرياء يرجع إلى : —

---

(١) أمم : قريب

١ — نشأته الأولى مع أبناء الأشراف فى الكوفة
٢ — عشرته للملوك وتنافسهم عليه واعجابهم به وبشعره
٣ — تفوقه على غيره من شعراء عصره فى قوة الحافظة ، والالمام باللغة .

شعـــره

ليس فى تاريخ الأدب العربى شاعر كالمتنبي أجمع الأدباء وأئمة النقد ، على أنّ شعره فى أعلى درجة من البلاغة والرصانة ولا عجب فقد جمع بين جودة اللفظ وجزالته ، وقوة المعنى وروعته — لم يترك بابا من أبواب الشعر إلا طرقه وأجاد فيه — وإذا كنّا لا نجد للشاعر فى كل قصيدة من قصائده سوى بيت متميز أو بيتين فقلما نجد له أكثر من بيت أو بيتين نزل فيها إلى مستوى غيره من الشعراء .

وشعره حافل بالفلسفة التى نقلها عن ارسطو وعن غيره من فلاسفة اليونان ، مفعم بالحكم البالغة ، والأمثال الرائعة ، نتيجة الطول تجاربه ، وسعة اطلاعه وهو طموح إلى المعانى الضخمة التى تنقطع عندها همم أقرانه — وإذا نظم فى غرض مطروق ابتكر فيه من الأخيلة ، وحسن التصوير مايشهد له بالبراعة والسبق ويجعله مثالا يُحتذى — وإنك لتقرأ شعره فترى اللغة كأنما ألقت إليه قيادها وأسلمت إليه ذمامها فصرفها تصريف الأديب المدلّل — يمدح الشىء فتخاله كمالا لاعيب فيه ، ثم يذمّه فلا ترى على وجه الأرض أحقر منه — مدح كافوراً فرفعه إلى السماء ، وسما به إلى مرتبة الأشراف والنبلاء وهو خصىّ أسود ثم ذمه فهوى به الى الحضيض — ولعلّ من الأسباب التى زادت فى إقبال الناس على شعر — وصفه لطبائع النفوس ، وأصول الاجتماع ، وحفله بشرح الأدواء الخلقية وطريق علاجها — والتعبير عن مكنون العواطف التى لايجد الناس إلى التعبير عنها سبيلا — وينسب إليه بعض معاصريه أنه كان كثير الاغارة

على معانى غيره واستخدامها فى شعره ونحن إن وافقناهم على هـــذا الرأى فمن الحق أن تعـــترف بأنه كان صناعا ماهرا يقبس من غيره مايقبس ولـكنه يبذل فيه من المجهود ما يُغـيّر معالمه ويصيّره ثمرة من ثماره وأكثر المعانى التى نظم فيها فبلغ غاية الاجادة والاحسان

المديح — والوصف — والرثاء — والحكم — والامثال — والهجاء — وأقلها الغزل والنسيب ، وسنذكر لك فيما يلى مُثلا لكل غرض من هذه الاغراض

مثل من شعره

١ — المديح :—

يخيل لمن قرأ مدائح المتنبي وهى تشغل أكثر من نصف ديوانه ، أنه يقرأ نوعا جديدا من المديح ، يكاد يختلف عما قرأه لغيره من الشعراء — فهو لايمدح الناس بصفاتهم ، من شجاعة وإقدام ، أو كرم وجود ، ولـكنه يصعد إلى أفق أعلى مما ألفه العقل ، ويسعفه الخيال الواسع والفكر الثاقب ؛ فيتخيل فى شىء من المبالغة ، أن سيف الدولة لاتجد جيوش أعدائه قبل الحرب لكثرتها أرضا تحملها — ثم يصورها بعد الحرب لقلتها لاتجد منهم الأرض رجلا تحمله كل ذلك فى بيت واحد هو : —

وكم رجال بلا أرض لكثرتهم ترکت جمعهم أرضا بلا رجل

وقد يذهب به الخيال إلى أبعد من ذلك ، فيدعى أن السيوف تزهو وتتيه لتوهمها مشاركة سيف الدولة فى كرم الأصل ، فيتهكم بها ويؤنبها على هذا الظن ، — ثم يرجع باللائمة على من سماه سيفا لأن من السيوف ماينبو ، ويمدحه بالحلم والصبر على جهل الناس فيقول : —

ولما تلقاك السحاب بصوبه   تلقاه أعلى منه كعباً وأكرمُ (١)
فباشرَ وجها طالما باشر القنا   وَبلّ ثيابا طالما بلّها الدّمُ
أتحسب بيضُ الهند أصلَك أصلَها   وأنّك منها ، ساء ماتتوهمّ (٢)
إذا نحن سمّيناك خلنا سيوفنا   من التيه فى أغمادها تتبسّم (٣)
ولم نر مَلْكا قط يدعى بدونه   فيرضى ولكن يجهلون وتحلمُ

ولمدائح المتنبى سمة أخرى هى مزجها دائماً بالفخر بنفسه والتمدّح باخلاقه وصفاته ، وكأنه يريد دائماً أن يُفهم ممدوحه أن الذى يمدحه ليس شاعراً مُعْدِما يَتمَلّقه ، ولكنه من عظيم لا يقل ، عنه حتى يُصغى لقوله ويُعنى بكلامه ويحاول جهد استطاعته أن يُدخل فى روعه أن شعره هو الشعر ، وما عداه صدى له ، وأن غيره من الشعراء إذا مدحوا فانما يردّدون قوله ويرجعون صوته

وقد تذهب به الجرأة والإباء إلى أبعد من ذلك فيدّعى أن ممدوحه محتاج إلى مدائحه حاجته إلى الرُّمح والسيف فيقول مخاطبا سيف الدولة : —

وما أنا إلا سمهرىّ حملته   فزيّن معروضاً وراع مسدّدا
وما الدهر إلا من رُواة قصائدى   إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا
أجزنى إذا أنشدتَ شعرا   فاننى أنا الصائح المحكىّ والآخر الصدى
تركتُ السُّرى خلفى لمن قل ماله   وأنعلت أفراسى بنعماك عسجدا
وقَيّدت نفسى فى هواك محبة   ومن وجد الاحسان قيْدا تقيّدا

(٢) الوصف :

برع المتنبى فى وصف المعارك الحربية ، لأنه شهد

---

(١) الصوب : المطر (٢) بيض الهند : السيوف، (٣) التيه : الزهو والعجب

الحروب بعينيه ، وسمع صليل السيوف بأذنيه ، ومشى فى ركاب سيف الدولة إلى ميادين القتال فرأى الكرّ والفر ، والاقدام والاحجام ، فاذا وصف لك معركة حربية ، خلت نفسك تحت مشتبك القنا وظلال السيوف، وأسمعك صهيل الخيل وأنين الجرحى حتى لتفتقد قلبك من جزع ، أو تنفض ثوبك من غُبار ، واليك وصفه لجيش سيف الدولة وقد أوقع بأعدائه ، وتصويره الهزيمة والطراد ، والأعضاء كيف تتناثر ، والدماء كيف تسيل ، كل ذلك فى خيالٍ بديع وأسلوب أبدع .

وظل الطعن فى الخيلين خلْساً كأنَّ الموت بينهما اختصار
فلزّهم الطراد إلى قتال أحدُّ سلاحهم فيه الفِرار
مضوا متسابقى الأعضاء فيه لأروسهم بارجلهم عِثار
يغادر كلّ ملتفتٍ اليه ولبته لثعلبه وجار (١)
إذا صرف النهار الضوء عنهم دجا ليلان ليل والغبار
وجاؤا الصَّحْصَحانَ بلاسروج وقد سقط العمامة والِخمارُ (٢)
فأرهقتْ العَذارى مُردفات وأوطئت الأصيبيةُ الصغار (٣)
إذا فاتوا الرماح تناولتهم بأرماح من العطش القِفار (٤)

وكما برع فى وصف الوقائع الحربية ، برع كذلك حتى فاق أقرانه فى وصف مايحيط به من مظاهر الطبيعة حيوانها وجمادها — وله فى الوصف خيال رائع ، ومبالغات طريفة ، ودعابة حلوة ، تجعل فى وصفه كثيراً من اللذة، وتخلع عليه حلة ضافية من الجمـــال — وأوصافه مزدانة بالتشبهات الجميلة والاستعارات البديعة ، ولا سيما فى تصوير النفوس ووصف المعنويات وإليك بعض أبيات وصف بها حمى أصابته فى مصر

(١) اللبة : الصدر والوحار : بيت الكلب والثعلب ونحوهما (٢) الصحصحان : اسم مكان والخمار : ماتغطى به المرأة وجهها (٣) الأصيبية تصغير الصبية (٤) القفار : الصحارى

وزائرة كأن بها حياء فليس تزور إلا فى الظلام
بذلتُ لها المطارف والحشايا فعافتها وباتت فى عظامى
يضيق الجلد عن نفسى وعنها فتوسعه بأنواع السقام
اذا مافارقتنى غسّلتنى كأنا عاكفان على حرام
كأن الصبح يطردها فتجرى مدامعها بأربعة سجام
أراقب وقتها من غير شوق مراقبة المشوق المستهام
ويصدق وعدها والصدق شر اذا ألقاك فى الكرب العظام
أبنت الدهر عندى كل بنت فكيف وصلت أنت من الزحام(١)
جرحت مجرحاً لم يبق فيه مكان للسيوف ولا السهام

٣ ـ الرثاء

عرفت أن أبا الطيب كان متبرما بالحياة ساخطا على الزمن وصروفه — فاذا أضفت إلى ذلك أنه كان فيلسوفا حكيما يعرف قيمة الدنيا وهوانها ، ويدرك ما فيها من زخرف زائل ، وأمل كاذب ، وأنه كان شاعر سيف الدولة وشاعر أبى العشائر من قبله ، وشاعر القوم الذى يخصص نفسه لمدحهم لابد له أن يرثى موتاهم ، وأن يجيد فى رثاء الميت كما اجاد فى مدح الحى — إذا عرفت كل ذلك سهل عليك أن تعرف السبب فى نبوغه وإجادته فى الرثاء يقول معزيا سيف الدولة فى أخته

طوى الجزيرة حتى جاءنى خبر فزعت فيه بآمالى الى الكذب
حتى اذا لم يدع لى صدقه أملا شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بى
غُدرت ياموت كم أفنيت من عدد بمن أصبت وكم أسكت من لجب(٢)

---

(١) بنت الدهر : يريد بها الحمى وبنات الدهر شدائده (٢) اللجب الأصوات الشديدة

أرى العراق طويل الليل مذ نعيت   فكيف ليل فتى الفتيان فى حلب
فان تكن خُلقت أنثى لقد خلقت   كريمة غير أنثى العقل والحسب
فليت طَالعة الشمسين غائبةٌ   وليت غائبة الشمسين لم تغب (١)
قد كان كل حجاب دون رؤيتها   فما قنعتِ لها يا أرض بالحجب
ولا رأيتِ عيون الانس تدركها   فهل حسدت عليها أعينَ الشهب

وكان كثيرا ما يمزج مراثيه بالفلسفة والحكمة ويميل فيها إلى العظة والنصيحة — يقول فى رثاء ابن مات لسيف الدولة فى طفولته

تركت خدود الغانيات وفوقها   دموع تذيب الحسن فى الأعين النجل (٢)
فان تك فى قبر فانك فى الحشا   وان تك طفلا فالأسى ليس بالطفل
ومثلك لا يُبكى على قدر سنّه   ولكن على قدر المخيلة والأصل
عزاءك سيف الدولة المقتدى به   فانك نصل والشدائد للنصل
وما الموت إلا سارق دق شخصه   يصول بلا كفٍّ ويسعى بلا رجل
وما الدهر أهل ان تؤمّل عنده   حياةٌ وأن يشتاق فيه إلى النسل

٤ — الحكم والامثال

لا تكاد تخلو قصيدة من قصائد المتنبي من حكم موجزة بالغة ، وأمثال محكمة رائعة ، وتمتاز حكمه بتصوير خفايا النفوس ، والتعبير عن بواطن الأمور حتى لتسمع الحكمة فيخيل اليك أنها خاصة بك وتقرأ المثل فتظنه لم يضرب إلا إليك وتحسب أن هذه الحكم وتلك الأمثال هما اللتان بنيت عليهما شهرته وكان لهما الفضل الأوّل فى تعريف الناس به وتقديرهم له .

(١) يريد بالطالعة : شمس النهار وبالغائبة : اخت سيف الدولة التى يرثيها
٢ ـ العين النجلاء الواسعة

فن حكمه المشهورة :

وكل امرىء يولى الجميل محبب ... وكل مكان ينبت العز طيب
ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى ... عدوا له ما من صداقته بد
وإذا كانت النفوس كبارا ... تعبت فى مرادها الأجسام
لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى ... حتى يراق على جوانبه الدم
ومن العداوة ما ينالك نفعه ... ومن الصداقة ما يضر ويؤلم
كل حلم أتى بغير اقتدار ... حجة لاجىء إليها اللئام

ومن أمثاله السائرة : —

ما كل ما يتمنى المرء يدركه ... تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن
وإذا ماخلا الجبان بأرض ... طلب الطعن وحده والنزالا
اذا نلت منك الود فالمال هين ... وكل الذى فوق التراب تراب
ومن لم يعشق الدنيا قليل ... ولكن لا سبيل الى الوصال
وشر ما قنصت راحتى قنص ... شهب البزاة سواء فيه والرخم (١)

وله أعجاز أبيات اتخذها الناس أمثالا منها : —

أنا الغريق فما خوفى من البلل — وفى الماضى لمن بقى اعتبار — والجوع يرضى الأسد بالجيف — ومن وجد الاحسان قيداً تقيداً — ولكن صدم الشر بالشر أحزم — بجبهة العير (٢) يفدى حافر الفرس — ومن يرد طريق العارض (٣) الهطل — مصائب قوم عند قوم فوائد — وبضدها تتبين الأشياء — إنا لنهزل والأيام فى الطلب .

---

(١) الراحة : اليد والقنص : المصيد — والرخم . اسم طائر يأكل خبث الأرض
(٢) العير : الحمار (٣) العارض : السحاب

٥ ـ الهجاء :

هجاء المتنبي صورة لنفسه المحرومة السّاخطة على الدهر ، لوقوفه فى وجهه وقعوده به عن إدراك آماله وتحقيق رغائبه ، بيد أنه كان مقذعا فى هجائه ، إذا غضب على إنسان ولو كان صديقه أطلق فيه لسانه دون روّية ولا أناة ، ونسى ، ما كان بينهما فى الماضى من صلة ، وما قال فيه من مدح ، وما ناله عليها من عطاء ـ يقول فى هجاء كافور ، بعد أن رفعه بمدحه إلى السماء : —

أكلما اغتال عبدُ السوء سيّدهُ أوْ خانهُ ، فله فى مِصرَ تمهيد ؟
العبدُ ليس لحرٍ صالح بأخٍ لو أنه فى ثياب الحرّ مولود
لا تشترِ العبد الا والعصا معه إن العبيد لأنجاس مناكيدُ
من علم الأسود المخصىّ مكرمةً اقوامه ؟ البيضُ ، أم آباؤه الصيدُ(١) ؟
أمْ أذنهُ فى يد النخّاس داميةً أم قدره ، وهو بالفلسين مردُودُ(٢)

٦ ـ الغزل :

يكاد يكون هذا الغرض أقل الأغراض التى نظم فيها ـ وغزله صناعى يغلب على الظنّ أنه قصده ليكمّل به أبواب شعره ـ فلم يرو عنه التاريخ أنه كان عاشقاً مغرماً ـ بل لم يكن فى حياته التى شرحناها لك

(١) الصيد : جمع أصيد وهو السيد فى قومه
(٢) النخاس تاجر العبيد ـ والفلس : نوع من النقود كان شائعا فى عصر المتنبي ولا يزال مستعملا فى أكثر البلاد العربية ولعله يساوى القرش فى النقود المصرية

ما يتسع للهو والمجون - بيد أن ما بأيدينا من غزله رقيق عذب مما يدلنا على أن الكمال كان حليفه على الدوام ، والتوفيق رائده فى كل ناحية من نواحى الكلام ، واليك مثال من غزله : —

لبسن الوشى لا متجملات ولكن كى يصن به الجمالا
وضفرن الغدائر لا لحسن ولكن خفن فى الشعر الضلالا(١)
بجسمى من برته فلو أصارت وشاحى ثقب لؤلؤة لجالا
كأن الحزن مشغوف بقلبى فساعة هجرها يجد الوصالا

هـ - اسلوبه : —

يتميز أسلوب المتنبي بالجزالة والقوة ، وتآلف الألفاظ واصطباغه فى مجموعه بأشكال المنطق والصناعة المقصودة ، التى لاتخلو من جمال - وأحيانا يقسو على الألفاظ فيحملها من المعانى ما تضيق به - ويأخذ عليه بعض مؤرخى الأدب ميله فى بعض قصائده إلى الاغراب والتعقيد رغبة فى الشهرة وحباً فى الظهور - بيد أن هذه كلها هنات لا تنقص قدره ولا تعكر بحره - وحسب ذلك الأسلوب فخاراً ؛ وحسب صاحبه خلوداً على الدهر ، أن يشهد له بالبراعة والسبق ، ويعترف له صاحبه ابو العلاء بمتانة الأسلوب ، على فرط ذكائه ورفعة قدره فيقول : (حاولت طويلا أن أبعد كلمة من كلمات المتنبي فأضع مكانها أخرى مع المحافظة على سلامة أسلوبه ومعانيه فرأيت ذلك مستحيلا)

(١) الغدائر : الضفائر - والوشاح : حلية تشبه القلادة يلبسها النساء فى العنق

سر عظمة المتنبي :ـ

جدير بك بعد هذا البحث الطويل أن تعرف سر عظمة المتنبي وتقف على الاسباب التى من أجلها ذاع صيته وبزّ الشعراء فى كل عصر ومصر، فضُربت بشعره الأمثال، واشتغل الناس بذكراه ألف سنة، يتدارسون شعره، ويشرحونه وينقدونه، ويتعصبون له أو عليه ولا تزال الصحف المصرية، تردّد صدى ذكراه الألفية، فى جميع البلاد العربية ونحن نجمل لك سر هذه العظمة فى الأسباب الآتية

١ — خروجه إلى البادية وأخذه اللغة عن أهلها قوية صحيحة لم تفسدها العجمة ولم ينل منها الاختلاط

٢ — إكبابه على تعلم اللغة وهو صبى وشغفه بجمع شواردها وحفظ غريبها.

٣ — تعدد رحلاته وكثرة أسفاره ومن سافر يوما فقد أضاف إلى عمره عاما

٤ — وجوده فى عصر نضجت فيه الثقافة واكتمل فيه نمو العلوم.

٥ — عشرته للملوك وإعجابهم بشعره وإجازتهم له عليه الجزاء الأوفى.

٦ — ذكاؤه وقوة حافظته.

٧ — علو نفسه وطموحه إلى ما لم يطمح إليه غيره من الشعراء.

أمثلة من شعر

أبى العلاء المعرى - وتميم بن المعز وابن الفارض - والبهاء زهير

١ - أبو العلاء المعرى :

هو الفيلسوف الشاعر أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخى - وُلد بمعرة النعمان سنة ٣٦٣ هـ وكان جدُّه قاضيا بها وفى السنة الثالثة من عمره أصيب بجدرى أفقده بصره ، وكان قوى الحافظة سريع الفهم ، أكبّ على العلم والأدب ، ولزم الورّاقين وصحب العلماء والأدباء حتى استنفد ماعندهم .

وفى سنة ثمانٍ وتسعين وثلثمائه زار بغداد ، بعد ما طاف فى ربوع الشام وكانت قد سبقته إليها شهرته ، فقوبل بالحفاوة والاجلال وأقام فيها مدة درس فيها حكمة اليونان ، وفلسفة الفرس والهنود — وقد نعيت إليه أمه وهو فى بغداد - وكان أبوه قد مات من قبلها فوجد عليها ونظر من أجلهما إلى الدنيا بمنظار أسود - وعاد إلى المعرة وهو آية عصره ، ونادرة زمانه ، فلزم داره وسمّى نفسه رهن المحبسين ، وعاش بقية أيامه متنسكا لا يأكل اللحوم ولا يفكر فى الزواج حتى وافته منيّته سنة ٤٩٩ هـ

وشعره جزل رصين ، مملوء بالحكمة والفلسفة — وله مؤلفات كثيرة أشهرها سقط الزند واللزوميات

مثل من شعره

١ — قال فى المديح : ــ

ألفت الحرب حتى قال قوم ... أما لصلاح بينكما فساد
تموت الدرع دونك حتف أنف ... ويبلى فوق عاتقك النجاد
ركبت العاصفات فما تجارى ... وسدت العالمين فما تساد
تذود علاك شرّادَ المعانى ... الىّ فمن زهير أو زياد ؟
إذا ماصدتها قالت رجال ... ألم تكن الكواكب لاتصاد
ولولا فرط حبك ما ازدهانى ... إلى المدح الطريف ولا التلاد
فان يكن الزمان يريد معنى ... فانك ذلك المعنى المراد

٢ — وقال فى الفخر

وكم من طالب أمدِى سيلقى ... دُوَيْنَ مكانى السَّبعَ الشدادا
يؤجج فى شعاع الشمس ناراً ... ويقدح فى تلهبها زنادا (١)
ويطعن فى عُلاى ، وإن شسعى ... ليأنف أن يكون له نجادا (٢)

---

(١) أى أن من يسابقنى ويبارينى فى المجد لا يدركنى بل يكون مثله كمثل من يؤجج ناراً يكيد بها الشمس

(٢) أى شسع نعلى ورباطه أشرف من نجاد سيفه

ويُظهر لى مودته مقالا ويُبغضنى ضميرا وإعتقادا
فلا وأبيك ما أخشى إنتقاصا ولا وأبيك ما أرجو إزديادا !
لى الشرف الذى يطأ الثريا مع الفضل الذى بهر العبادا
ولو أنّ النجومَ لدىّ مالٌ نَفَتْ كفاىَ أكثرَها إنتقادا
ولو أنى حُبيتُ الخُلدَ فرْداً لما أحببتُ بالخلد إنفرادا
فلا هَطَلت علىّ ولا بأرضى سحائب ليس تنتظم البلادا (٢)

٣ — وقال فى الرثاء

غير مجد فى ملتى وإعتقادى نوح باك ولا ترنّمُ شاد
وشبيه صوت النعىّ إذا قيـس بصوت البشير فى كل ناد
صاح هذى قبورنا تملأ الرحـب فأين القبور من عهد عاد
خفّف الوطء ما أظن أديم الأرض إلا من هذه الأجساد
وقبيح بنا وإن قدم العـهد هو ان الآباء والأجداد
سر إن اسطعت فى الهواء رويدا لا اختيالا على رفات العباد

٢ - تميم ابن المعز

هو الامير الشاعر ، أبو على تميم ابن الخليفة المعز لدين الله الفاطمى ، نشأ فى أحضان الملك ، وعاش فى ترفه ونعيمه ـ وكانت حياته أشبه بحياة المعتز ، ولذلك كان دائما يتشبه به ، ويتشبث بأذياله — وقد كان عالى الهمّة ، واسع الآمال — تطلعت نفسه الى الخلافة فحالت الحوائل دون غايته وعاش ساخطا على الدهر مطويا على حسرات

وله نفس كبيرة ، تتمثل فيها أخلاق الملوك ، من صبر وجلد ، وإباء وشمم

وشجاعة واقدام — وكان كريما مسماحا ، يرتاح إذا أعطى ، ويهتز إذا مدح ، توفى بمصر سنة ٣٦٨ ﻫ

مثل من شعره

١ — قال فى الفخر

ألقى الكمىَّ فلا أخاف لقاءه ... ويفلُّ إقدامى شبا الحدثان (١)

واكرّ فى صدر الخميس معانقا ... للموت حين يفر كل جبان (٢)

ويزيدنى كرُّ الخطوب تعظمّا ... وتسلط الأيام عزّ مكان

وعلمت أخلاق الزمان فلم أضق ... ذرعا بأيامى وغدر زمانى

٢ — وقال فى وصف فوارة فى بستان

وقاذفة بالماء فى وسط بركة ... قد التحفت ظلا من الايك سجسجا (٣)

إذا انبثقت بالماء سلته مُنصلا ... وعاد عليها ذلك النصل هودجا

تحاول إدراك النجوم بقذفها ... كأن لها قلبا على الجو مُحرجا

٣ — وقال فى الغزل

شبهتها بالبدر فاستضحكت ... وقابلت قولىَ بالنكر

وسفهت قولى ، وقالت : متى ... سمجتُ ؟ حتى صرت كالبدر !

والبدر لا يرنو بعين كما ... أرنو ، ولا يبسم عن ثغر

ولا يميط المِرط عن ناهد ... ولا يشد العقد فى نحر (٤)

---

(١) الكمى : الشجاع (٢) الخميس : الجيش (٣) السجسج : الذى لا حر فيه ولا برد (٤) المرط : كساء تتلفع المرأة به

٣ — ابن الفارض

هو أبو منصو ، عمر بن على المرشد — ولد بالقاهرة ، من أسرة حموية الأصل ، وكان أبوه يتولى فى مصر كتابة فروض النساء ، فسمى ابنه بابن الفارض — نشأ ميالا الى العزلة ، والانفراد ، وسافر وهو صبى الى مكة فمكث فيها خمسة عشر عاما وعاد إلى القاهرة ، فصادف من أهلها حفاوة ، وتعظيما ، وتنافسا على القرب منه ، فأقام فيهم زمنا ثم حجّ البيت ثانيا والتقى فى مكة بالسهروردى الشاعر المعروف ، ثم عاد الى مصر ومات بها سنة ٦٣٢ ﻫ ودفن بسفح المقطم

وأكثر شعره فى التصـــوف والزهد وقد جره ذلك الى الاطالة فى قصائده ، حتى لتزيد بعضها عن السبعمائة بيت كلها غزل صوفى ، ورموز لا يفهمها ولا يدرك مراميها من الناس إلا القليل ، وله كلف بالمحسنات البديعة ، ولا سيما التورية والجناس ، وقد يُغرق فيهما أحيانا الى حد التكلف والاغراب .

مُثل من شعره

١ — قال فى وصف الخمر على الطريقة الصوفية

يقولون لى صفها فأنت بوصفها … خبيرٌ أجل عندى بأوصافها علم

صفاءٌ ولا ماء ولطف ولا هوا … ونورٌ ولا نار وروح ولا جسمَ

وما سكنت والهمّ يوماً بموضع … كذلك لم يسكن مع النَغم الغمُّ

وفى سكرةٍ منها ولو عُمْرَ ساعة … ترى الدهر عبداً طائعاً ولك الحكمُ

فلا عيش فى الدنيا لمن عاش صاحياً … ومن لم يمُت سُكراً بها فاتهُ الحزمُ

٢ — وقال فى الشوق والحنين ، من قصيدة مشهورة ، عذبة الروىّ تربو أبياتها على الثمانين

سائقَ الاظعان يطوى البيد طىّ ... منعِماً عرج على كثبان طىّ (١)

وتلطف واجر ذكرى عندهم ... علهم ان ينظر وا عطفاً إلىّ

قل تركت الصبّ فيكم شبحا ... ماله مما براه الشوق فَىّ

صاديا شوقا لصدى طيفكم ... جد ملتاح إلى رؤيا ورَىّ

يا أهيل الودّ أنىّ تنكروا ... نى كهلا بعد عرفانى فتىّ

نصبا أكسبنى الشوق كما ... تكسب الأفعالَ نصباً لام كى

٣ — ومن غزله الرقيق

إن لم يكن وصل لديكَ فعدْ به ... أملى وما طلْ إن وعدت ولا تف

فالمطل منك لدىّ إن عز الوفى ... يحلو كوصل من حبيب مسعف

يا أهل ودى أنتم املى ومن ... ناداكمو يا أهل ودى قد كُفِى

وحياتكم وحياتكم قسمى وَفى ... عمرى بغير حياتكم لم أحلف

لو أن روحى فى يدى ووهبتها ... لمبشرى بقدومكم لم أنصفَ

٤ — بهاء الدين

هو أبو الفضل زهير بن محمد المهلبى ، ولد بالقرب من مكة وقدم إلى مصر واتصل بالملك الصالح نجم الدين الأيوبى وانتقل معه إلى الشام ، وما زال فى خدمته حتى أسره ابن عمه ، فحفظ بهاء الدين ولاءه ، ولم يتصل بغيره ، ولذلك زاد فى اكرامه ، بعد خروجه من سجنه وعودته الى مصر ، وقربه وجعله موضع سره الى أن وافت بهاء الدين منيته سنة ٦٥٦ هـ وكان على جانب عظيم من كرم الطباع ، ودماثة الاخلاق وقد ، تلاقى

١ ـ الظعينة : الهودج والمراد الجمال والبيد جمع بيداء وهى الصحراء ـ منعما : متفضلا والكثبان : التلال : ـ وطىء اسم قبيلة

فى القاهرة بابن خلكان المؤرخ الأدبى المعروف وشهد له بالعلم والفضل، وكانت بينه وبين ابن مطروح ، مناظرات فى الأدب ومحاورات — وشعره يتسم فى مجموعه بالدعابة ، وخفة الروح ، وبه تضرب الأمثال فى رقة الأسلوب وعذوبته ، ووضوحه وسهولته — واكثر شعره ، غزل عف ، ومديح معقول ، ومزاح مقبول

١ — قال فى وصف مصر والحنين اليها

سقى واديا بين القريش وبرقة ... من الغيث هطال الشآبيب هتان
وحيا النسيم الرطب عنى اذا سرى ... هنالك أوطانا اذا قيل أوطان
بلاد متى ما جئتها جئت جنة ... لعينيك منها كل ما شئت رضوان
فيا ساكنى مصر تراكم علمتم ... بأنى مالى عنكم الدهر سلوان ؟
ومافى فؤادى موضع لسواكم ... ومن أين فيه وهو بالشوق ملآن
عسى الله تطوى شقة البعد بيننا ... فتهدأ أحشاء وترقأ أجفان (١)

٢ — قال فى الغزل من قصيدة غنائية مشهورة

غيرى على السلوان قادر ... وسواى فى العشاق غادر
لى فى الغرام سريرة ... والله أعلم بالسرائر
ومشبه بالغصن قلـ ... ـبى لايزال عليه طائر
حلو الحديث ، وانها ... لحلاوة شقت مرائر
أشكوا وأشكر فعله ... فأعجب لشاك منه شاكر
ياليل مالك آخر ... يرجى ولا للشوق آخر
ياليل ، طل يا شوق دم ... إنى على الحالين صابر
طرفى وطرف النجم فيـ ... ـك كلاهما ساه وساهر

(١) رقأ الجفن : سكن دمعه

٣ — وقال فى الرثاء

يعزّ علىّ حين أدير عينى | أفتش عن مكانك لا أراكا
لقد عجِلت عليك يد المنايا | وما أستوفيت حظك من صباكا
فوا أسفى لجسمك كيف يبلى | ويذهب بعد بهجته سناكا (١)
ومالى ادّعى أنى وفى | ولست مشاركا لك فى بلاكا
تموت وما أموت عليك حزنا | وحق هواك خنتك فى هواكا
ويا خجلى إذا قالوا محب | ولم أنفعك فى خطب (٢) دهاكا (٣)

---

(١) سناك : ضوءك

(٢) الخطب : الأمر العظيم

(٣) دهاك : أصابك — والداهية : المصيبة

الـكتابة

بلغت الـكتابة فى العصر الأول على يدى الجاحظ وابن المقفع ، أعلا درجة فى البلاغة والقوة ـ وتصرّم القرنين الثانى والثالث والاساليب رصينة متينة لم يشُبْها تكلف ، ولم يفسدها تصنع ، وكأنهم استغنوا بما فيها من جمال ذاتى عن ذلك الجمال المستعار الذى يرجى من وراء المحسنات

أما فى العصر الثانى فقد كان للحضارة الزاهرة التى انغمس فيها الـكتاب أثر فى اختلاف الأساليب وانتقال الـكتابة الى حال جديدة ، فاصبحوا يتأنّقون فيها كما يتأنقون فى لباسهم ورياشهم — وزاد الاختلاط بالأعاجم وتغلغلت ثقافتهم معانى والفاظا وأساليب فى الأدب العربى ـ وهم أهل صناعات وتزويق وتنميق — فكان لذلك أثر آخر لايقل عن سالفه — ظهر فى هذا العصر واضحا جليا فى الـكتابة كما ظهر فى الشعر من قبل وقد يكون لضعف الدولة وانقسامها واختلاف أوطانها وأجناسها ، وتباين أذواق ملوكها ، ورعاياها ، أثر ثالث فى ذلك الانقلاب الأدبى الذى طرأ على الـكتابة فى ذلك العصر

لهذه الأسباب وأمثالها راجت سوق البديع ونمت أصوله وتعددت مباحثه وبدأ يأخذ قسطه من الوجود فنا مستقلا عن فنون البلاغة الأخرى وتنافس الـكتاب فى حذقه وتوشية أساليبهم به — وأصبح للكتاب طريقة خاصة لايحيدون عنها تختلف فى بدئها وختامها كما تختلف فى نسجها وأغراضها — وإنا مجملون لك هذه الأحوال الجديدة التى طرأت على

الكتابة هذا العصر — والظواهر التى تجلت فى أساليب الكتاب وتميّز بها عصرهم فيما يلى

١ — كلف الكتاب بالمحسنات البديعية وأسرفوا فيها من سجع وجناس وتضمين واقتباس ، وتورية وتوجيه — وعجيب أن تعلم أن سيل هذه المحسنات المتكلفة قد امتد حتى الى الكتابة الديوانية التى هى أغنى مايكون عنه — كتب أحد الوزراء إلى بعض الولاة

(الزم وفقك الله المنهاج ، واحذر عاقبة الاعوجاج ، واحمل ماامكن من الدجاج) ولما وصل العامل بالدجاج بيع وسجّل ثمنه فى دفاتر الدولة باسم (دجاج السجع)

وهذه المحسنات على كثرتها وشيوعها ، فى هذا العصر كانت تزيد الأساليب الضعيفة من أصلها ضعفا ولا تؤثر كثيرا فى رصينها وجيّدها

٢ — كثر اقتباس الحكم والامثال وتضمين الآيات القرآنية والابيات الشعرية وغالوا فى ذلك حتى أصبح الشعر فى رسائلهم أكثر من النثر .

كتب الهمزانى من رسالة الى الخوارزمى

أنا لقرب دار الأستاذ — كما طرب النشوان مالت به الخمر

ومن الارتياح للقائه — كما انتفض العصفور بلله القطر

ومن الامتزاج بولائه — كما التقت الصهباء والبارد العذب

٣ — أخذ الكتاب عن الأدب الفارسى كثيراً من الأنظمة والاصطلاحات كتنوع البدء والختام ، واختلاف الديباجة باختلاف المرسل إليه — وطول المقدمات ، والاسهاب فى أكثر المواضع كما نقلوا عنهم كثيرا من ألقاب التعظيم والتبجيل

٤ — اطلع كثير من الكتاب على ماترجم من القصص الفارسية

وأساليبها ولم تكن فى الأدب العربى من قبل وأجهدوا عقولهم فى محاكاتها فنشأت القصص المطولة المعروفة **بالمقامات**

وقد ظهر فى هذا العصر كثير من أعلام الكتاب كابن العميد — والبديع — والخوارزمى — والحريرى — والصابى — والأصبهانى

بيد أن هؤلاء الكتاب وأمثالهم قد اقتصروا على بعض أنواع الكتابة فبرعوا فيه وأحسنوه كالكتابة الديوانية — والاخوانية والأدبية — وصرفوا إليها عنايتهم وهجروا ماعداها من الأنواع — وسنذكر لك فيما يلى مثلا للكتابة فى هذا العصر ونعرفك بأشهر كتّابه : —

ابن العميد

هو ابو الفضل محمد بن الحسين المعروف بابن العميد (١)

ولد سنة ٣٠٠ — وأسرته فارسية مشهورة بمدينة « قم » وكان أبوه من رجال العلم والسياسة وقد ساهم فى بناء مجد بنى بويه وساعدهم على تأسيس دولتهم التى نشأ فى أحضانها ولده أبو الفضل

وفى سنة ٣٢٨ تولى الوزارة ، فأظهر من حصافة الرأى ، وحسن التدبير ما حبب فيه ركن الدولة ، ورفع من مكانته ، عنده — وكان ابن العميد كلفا بالبحث والاطلاع لم يدَعْ علما من العلوم الشائعة فى عصره الا اطلع عليه ولا سيما الفلسفة — والفلك — فاكتسب من هذا الاطلاع الواسع علما بفنون الكلام ، وخبرة باذواق الناس وما يناسبها من الاساليب ، وكان له ذوق خاص فى الكتابة فأخذ يهذب فى العبارات ويجود فى الاساليب وساعده على ذلك رياسته لديوان الانشاء وامتلاكه ذمام

---

(١) العميد من القاب التعظيم والرياسة عند أهل خُراسان

الرسائل فى عصره ذلك هو ابن العميد ، الذى ختمت به الكتابة كما بُدئت بعبد الحميد

والذى كان المتنبي على عظمته وكبريائه واعجابه بنفسه وكثرة ادّعائه يخشى علمه وأدبه ويحسب لفكرته الوقادة ، وقريحته النقادة الف حساب توفى سنة ٣٦٠ هجرية .

طريقته فى الشرق

كانت عناية الكُتاب فى عصر ابن العميد منصرفة إلى الصناعة اللفظية وهمتهم موجهة الى المحسنات البديعة ، ولو هانت المعانى وتضاءلت الاغراض فلما جاء ابن العميد وتولى ديوان الرسائل ، اشترع طريقة تجمع بين جزالة الالفاظ وعذوبتها ، وسمو المعانى ورفعتها ، واتخذ لنفسه ولأتباعه أسلوبا خاصا لا هو بالسهل المطلق ، ولا بالمصنوع فحسب ولكن وسطا بينهما وقصدا ، فهى مسجعة قصيرة الفقرات مع تنميق العبارات ، وتزينها بشيء من المحسنات وتجميلها باقتباس الاشعار المشهورة ، والاحاديث المأثورة ، والأمثال السائرة ، والآيات القرآنية ؛ والحوادث التاريخية — تلك هى طريقة ابن العميد التى ذاعت فى الشرق وشاعت وأنت ترى أنها تتميز بأمور منها

١ — استعمال المحسنات البديعية

٢ — الاكثار من السجع القصير الفواصل

٣ — حل الابيات الشعرية وتضمين الحكم والامثال

٤ — الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف والاشارة إلى الحوادث المأثورة والوقائع المشهورة

٥ — العناية بالتشبيهات والاستعارات
٦ — إحلال النثر محل الشعر ، فى المفاخرات والمهاجات والمداعبات
٧ — الاسراف فى استعمال ألقاب التفخيم للملوك والوزراء على على عادة الكتاب الفارسيين

القاضى الفاضل

هو عبد الرحيم بن على وزير صلاح الدين الأيوبى ورئيس كتاب مصر فى عهده ولد بعسقلان ، وكان أبوه بهاء الدين الأشرف قاضيها ، وعنه أخذ العلم والادب ثم وفد إلى مصر فى أواخر الدولة الفاطمية ، ولزم ابن حديد قاضى الاسكندرية وما زال فى صحبته حتى برع فى الكتابة ، وذاع فضله فاستقدمه الملك الظافر ، وجعله من كتابه ولما استولى صلاح الدين على مصر جعله وزيرا له ومازال فى خدمة أولاده حتى وافته منيته سنة ٥٧٦ ﻫ وقد عاصر عماد الدين الاصفهانى ، وله رسائل كثيرة ، لم يبق منها غير نتف مشتتة فى بعض كتب الادب والتاريخ .

طريقته فى الكتابة

كان القاضى الفاضل كثير الأسفار والانتقال بين بلدان الشرق ، وكانت طريقة ابن العميد قد ذاعت قبل ذلك فى العراق وما جاورها كما عرفت ، فلما قرأها فى كثير من رسائل هذا العصر ، أعجب بها وصمم على ابتكار طريقة جديدة فى الكتابة يؤسسها على أصول طريقة ابن العميد — وبدأ بعنى بالسجع والتورية والجناس والاستعارات ، حتى صارت له ، طريقة خاصة فى الكتابة عرفت باسمه ونسبت إليه وتميزت هذه الطريقة بأمور منها : —

١ — العناية باللفظ أكثر من المعنى
٢ — التزام السجع القصير الفقرات
٣ — تنميق العبارات وتخير الجمل والألفاظ .
٤ — التكلف فى الاستعارات والمجازات
٥ — كثرة التضمين والاقتباس للقرآن والحديث والشعر والحكم والأمثال
٦ — الاسراف فى الجناس والتورية والتوجيه

وإذا كان القاضى الفاضل له من فطرته السليمة ، وخاطره السريع ، وعلمه باللغة وفنونها ، ما يعصم أسلوبه من السقوط والابتذال فقد أسرف الكتاب من بعده على فقدانهم ميزاته وفضائله فى محاكاة هذه الطريقة وأساءوا استعمالها حتى صارت الكتابة ضربا من المبالغة فى الصناعة — وشغلوا بالألفاظ . وزخارفها عن المعانى وسموها ، فهانت الكتابة على يدهم وأصبحت كالأوانى الفارغة لاتحمل معانى ولا تنطوى على أفكار ، وناهيك بجسم لا روح به ، وصدف لادُرّة فيه

تأثر الكتاب بطريقتى ابن العميد والقاضى الفاضل

كان لهاتين الطريقتين أثر كبير فى الكتابة العربية فى ذلك العصر

ا — فأما طريقة ابن العميد فقد أعجب بها الكتاب والأدباء لولوعهم بالصناعة اللفظية فى تلك الأيام ، وانتشر أسلوبه فى العالم العربى ولا سيما بلاد العراق وخراسان ، وماجاورهما من البلدان واتخذها الكتاب من بعده . مثالا احتذوه ونبراسا ساروا فى هديه إلى أن بعد بهم الزمان والمكان ، فاختلط عليهم الامر وضلوا عن سـواء السبيل . وممن اتبعها من بعده بديع الزمان الهمزانى — والصابى — والخوارزمى — والحريرى فى الشرق —

وابن زيدون فى الأندلس ولكل واحد من هؤلاء آثار أدبية ، من رسائل ومقامات تتمثل فيها هذه الطريقة وتظهر فى وضوح وجلاء

ـ ب وأما القاضى الفاضل فقد انتشرت طريقته فى عصر اختلفت فيه الأذواق ، وأغرم الناس بالتلاعب بالألفاظ ، وحصروا البلاغة فيها فصادفت رواجا واقبالا ، وصارت فى الدولة الأيوبية ثم فى دولة المماليك من بعدها مذهبا للكتاب ، يلتزمها ، كبارهم ، ويّنشأ عليها صغارهم وظلت هذه الطريقة ، إلى عصر محمد على بمصر ، بل امتدت إلى غيرها من البلدان .

العماد الاصبهانى

هو أبو عبد الله محمد الكاتب الاصبهانى صاحب المؤلفات الكثيرة فى العلم والأدب ، ولد باصبهان ، ثم قصد المدرسة النظامية ببغداد فتثقف فيها وحذق كثيرا من العلوم التى كانت تدرس بها إذذاك — ولما ذاع صيته ولاه الوزير عون الدين يحى بن هبيرة البصرة — ثم رحل إلى دمشق فأعجب به السلطان نور الدين فقربه وجعله رئيسا لديوان الانشاء وكذلك عطف عليه صلاح الدين بعد ذلك وزاد فى إكرامه ، وقد عاصر الاصبهانى القاضىَ الفاضل ومات سنة ٥٩٧ هـ

وله مؤلفات كثيرة فى الأدب والتاريخ أشهرها كتاب خريدة القصر — والفتح القدسى

وإنّا ذاكرون لك مُثُلاً لطريقتى ابن العميد والقاضى الفاضل متحدثين إليك عن أشهر رجال هاتين الطريقتين .

صور من انشاء

ابن العميد – والقاضى الفاضل – والعماد الاصبهانى

١ – ابن العميد

ا – كتب إلى أحد الخارجين على ركن الدولة يلومه (١) ويهدده
كتابى وأنا مترجح بين طمع فيك ويأس منك ، وإقبال عليك ، وإعراض عنك ، فانك تُدِلّ (١) بسالف (٢) حرمة ، وتمت بسالف خدمة ، أيسرهما يوجب رعاية ، ويقتضى محافظة وعناية ، ثم تشفعهما بحادث غُلول (٣) وخيانة ، وتتبعها بآنف خلاف ومعصية . وأدنى ذلك يحبط (٤) أعمالك ، ويسحق كل ما يُرعى لك ، لاجرم أنى وقفت بين ميل إليك وميل عليك ، أقدم رجلا لصدك ، وأؤخر أخرى عن قصدك ، وأبسط يداً لاصطلامك (٥) واجتياحك ، واثنى ثانية لاستبقائك واستصلاحك ، وأتوقف عن امتثال بعض المأمور فيك ، ضناً بالنعمة عندك ، ومنافسة فى الصنيعة لديك وتأملا لفيئتك (٦) وانصرافك ، ورجاء لمراجعتك وانعطافك ، فقد يغرب (٧) العقل ثم يؤوب ويعزب اللب ثم يثوب ، ويذهب الحزم ثم يعود ، ويفسد العزم ثم يصلح ، ويضاع الرأى ثم يُستدرك ، ويسكر المرء ثم يَصْحو ، ويكدر الماء ثم يصفو ، وكل ضيقة إلى رخاء ، وكل غمرة (٨) إلى انجلاء . وسأقيم على رسمى فى الاتعـــاد والمماطلة ما صلح ، وعلى

---

(١) الادلال : الانبساط وفرط الثقة بالمدل عليه (٢) – تمت : تتوسل وتتصل (٣) – الغلول : الخيانة (٤) – يحبط : يبطل (٥) – الاصطلام : الاستئصال ومثله الاجتياح (٦) – لفيئتك : لرجوعك الى الطاعة (٧) – يغرب : يذهب ويعزب ، يغيب ويزول (٨) – الغمرة : التغطية بالماء والمراد هنا الشدة

الاستبقاء(١) والمطاولة ما أمكن ، طمعاً فى إنابتك ، وتحكما لحسن الظن بك ، فلست أعدم فيما أظاهره من إعذار(٢) ، وأردفه من إنذار ، احتجاجاً عليك ، واستدراكا لك ، فان يشأ الله يرشدك ، ويأخذ بك إلى حظك ويسددك ، فانه على كل شىء قدير ، وبالاجابة جدير

ب — وكتب إلى عضد الدولة يهنئه بمولودين

اطال الله بقاء الامير الأجل . عضد الدولة ، وادام عزه وتأييده ، وعلوه وتمهيده (٢) وبسطته وتوطيده (٣) وظاهر له من كل خير مزيده (٤) وهنا ما احتظاه به على قرب الميلاد (٥) من توافر الاعداد (٦) وتكثر الامداد (٧) ، وتثمر الاولاد (٨) ، واراه من النجابة (٩) ، فى البنين والاسباط (١٠) ، ما اراه من الكرم فى الآباء والاجداد ، ولا اخلى عينه من قرة (١١) ونفسه من مسرة ، ومتجدد نعمة ، ومستأنف (١٢) مكرُمة ، وزيادة فى عدده ، وفسح فى امره (١٣) ، حتى يبلغ غاية منهله (١٤) ويستغرق نهاية أمله (١٥) ، ويستوفى ما بعد حسن ظنه (١٦) ، وعرّفه الله السعادة فيما بشر عبده ، من طلوع بدرين هماء انبعثا (١٧) من نوره ، واستنارا من

---

(١) - الاستبقاء : الانتظار (٢) - اعزار : المراد من عمل ينفى عذرك ويكفل الرضاعنك . (٢) تمكين ملكه وسعته (٣) البسطة - سعة - الملك والتوطيد التثبيت والتمكين . (٤) ظاهر : قوى وضاعف والمراد : تابع له النعم والخيرات الوافرة (٥) احتظاه . خصه والمراد صغر سنه (٦) كثرة عددهم (٧) كثرة الاعوان والامداد : جمع مود وهو النصير من جيش وولد ونحوهما (٨) تكثير عددهم بزراريهم (٩) النباهة والنجاح (١٠) جمع سبط وهو ولد الوالد (١١) سرور — يقال فى السرور « قرت عينه » أى بردت (١٢) متجدد (١٣) امتداد فى غايته والمراد طول العمر (١٤) المنهل : مورد الماء والمراد حتى يرد موارد الشرف فيبلغ الغاية منها (١٥) يستوفى آماله كلها (١٦) ينال أكثر ما قدر لنفسه من الأمانى المرجوة (١٧) ظهرا

دوره(١) ، وحفّا بسريره(٢)، وجعل وفدهما متلائمين (٣) ، ووردهما توءمين (٤) ، بشيرين بتظاهر (٥) النعم ، وتوافر القسم (٦) ،ومؤذنين (٧) بترادف (٨) بنين ، يجمعهم منخرق (٩) الفضاء ، ويشرق بنورهم أفق العلاء ، وينتهى بهم أمد النمّاء (١٠) ؛ الى غاية تفوت غاية الاحصاء ، ولازالت السبيل عامرة ، والمناهل غامرة (١١) ، بصفائح صادرهم بالبشر (١٢) ، وآمالهم بالنيل (١٣)

٣ — القاضى الفاضل

ا — كتب إلى عبد الرحيم البيسانى يصف له مدينة بديار بكر تسمى (آمد) (١٤) وآمد ذكرها بين العالم ، (١٥) متعالم وطالما صادم جانبها من تقادم (١٦) ، فرجع عنها مقدوعا (١٧) انفه وان كان فحلا ، وفرّ عنها فريدا بهمه وان استصحب خيلا ورجْلا (١٨)

---

(١) جمع دارة وهى الهالة المحيطة بالقمر والمراد استمداد ضوءها مما يحيط بوجهه من الاشراق (٢) أحاطا به (٣) متوافقين (٤) التوءم ما ولد مع غيره فى بطن واحدة (٥) تتابع (٦) جمع قسمة والمراد بها النصيب والحظ (٧) مخبرين (٨) تتابع (٩) الفضاء الواسع الذى تخترقه الرياح (١٠) غاية الزيادة (١١) مغمورة ممتلئة (١٢) بوجوه من يعودون مستبشرين بما نالوا من عطائهم (١٣) الراهبين اليهم يرجون نوالهم (١٤) بلدة قديمة خصبة مبنية على نشز من الأرض تعد من أكبر مدن إقليم ديار بكر وتسمى الآن ديار بكر باسم ولايتها كما تسمى القاهرة بمصر . والهضبة التى بنيت عليها سوداء ولذلك يسميها الترك (قره آمد) أى آمد السوداء (١٥) متعالم معروف ومشهور (١٦) أى من تقادم من الفاتحين (١٧) قدع انف الفحل ضرب أنفه ليكفه عن النوق اذا كان غير كريم خشية أن تلد منه غير نجائب (١٨) الخيل هنا : الفرسان . والرجل ، الرجالة (البيادة)

ورأى حجَرها فقدّر انه لا يُفكّ له حجْر (١) ، وسوادها(٢) فظن انه لا ينسخه فجر ، وحمية أنف أنفتها فاعتقد انه لا يستجيب لزجر : من ملوك كلهم قد طوى صدره على الغليل (٣) الى موردها ، ووقف المحب السائل فلم يفز بما أمّل من سؤال مَعْهَدِهَا

ب — وكتب الى الملك العادل يعزيه فى فقيد مات له .

ادام الله سلطان مولانا العادل ، وبارك فى عمره ، وأعلى أمره بأمره ، وأعز نصر الاسلام بنصره ، وفدته الانفس الكريمة ، وأصغر الله العظائم فى نعمته العظيمة ، واحياه الله حياة طيبة يقف هو فيها والاسلام فى مواقف السلام الجسيمة ، وينقلب عنها بالأمور المسلمة والعواقب السليمة ، ولا نقص له رجالا ولا عُدداً ، ولا أعدمه نفسا ولا ولداً ، ولا قصّر له ذيلا ولا يداً ، ولا كدّر له خاطراً ولا مورداً ، ولمّا قدر الله ما قدر فى الملك العزيز ، رحمة الله عليه وتحياته مكررة إليه ، من انقضاء مَهله وحضور أجله ، كانت بديهة (٤) المصاب عظيمة ، وطالعة المكروه أليمة ، فرحم الله ذلك الوجه ونضّره ثم الى الجنة يسّره

واذا محاسن اوجه بَلِيتْ فعفا الثرى عن وجهه الحَسَنِ

٣ — العماد الاصبهانى

ا — كتب العماد منشورا عن لسان الملك العادل نور الدين لاتخاذ الحمام وتدريبه على الطيران لنقل الكتب

هى برائد الأنباء المخصوصات بفضيلة الالهام والايحاء وهى فيوج

---

(١) فى الحجر هنا تورية من الحجر بمعنى الحبس والحصار ، أو بمعنى الحجر على السفيه ومنعه من التصرف فى ماله (٢) وسوادها : أى سواد هضبتها المبنية هى عليها (٣) الغليل : يريد التعطش الى موردها أى فتحها . (٤) بده الرجل بغته وفاجأه

(١) الرسائل المأمونة الابطاء ، والسابقات الهوج (٢) فى الاهتداء والحاملات ملطّفات الأسرار فى أقرب مدة إلى أبعد غاية والموصلات مهمات الأخبار فى وقتها من أقاصى الأمصار بأكمل هداية والقاطعات فى ساعتها إلى البلاد أجواز القضاء (٣) والموامى (٤) والنافذات بنجح المرامى ، وهى تطوى الفراسخ البعيدة والأشواط فى ساعة وتنتهى إلى أقصى عنايات الطاعة . بأتم استطاعة . وقد عم بها نفع المرابطين والغزاة والمجاهدين فى سبيل الله ، فى اهداء أخبار الكفرة إليهم فى أماكنهم ، دالة على مكايدها ومكامنها ، طائرة بكتبهم إلى مَن وراءهم من الطلائع والسرايا ، مظهرة لهم من أحوالها خبايا الأمور الخفايا ، وإنها لميمونة المطار مأمونة العثار سالمة على الأخطار مهدية فى الأسفار ، أمينة على الأسرار ، سابقة إلى الأوكار ، صادرة بالأوطار (٥) من الأقطار .

ب — وكتب فى رثاء القاضى الفاضل : —

رب القلم والبيان ، واللسن واللسان ، والقريحة الوقادة ، والبصيرة النقادة ، والبديهة المعجزة ، والبديعة المطرّزة ، والفضل الذى ما سُمع له بمماثل فى الأوائل ، ممن لو عاش فى زمانه لتعلق بغباره ، أو جرى فى مضماره . فهو كالشريعة المحمدية التى نسخت الشرائع ، ورسخت بها الصنائع . يخترع الأفكار ، ويفــترع الأبكار ، ويُطلع الأنوار ، ويُبدع الأزهار ، وهو ضابط الملك بآرائه ، ورابط السبل بآلائه ، إن شاء أنشأ فى يوم واحد بل فى ساعة مالو دُوّن لـكان لأهل الصناعة ، خير بضاعة ، أين قس فى مقام فصاحته ، وحاتم وعمرو فى سماحته ، وفضله بالافضل جال ، ونجم قبوله فى أفق الاقبال عال ، لا منّ فى فعله ، ولا مَـيْن فى قوله ، ولا خلف فى وعده ، ولا بطء فى رفده .

---

(١) الفيوج : جمع فوج وهو الجماعة (٢) والهوج : الرياح الشديدة مفردها هوجاء (٣) أجواز الفضاء : انحاؤه (٤) الموامى : جمع موماة وهى الصحراء (٥) الوطر الحاجة :

المقامات

فى العصر العباسى الأول اختلط الفرس بالعرب ودخل كثير من ناشئتهم فى الاسلام حبا فيه أو طمعا فى مال ، أو منصب أو جاه ، واشتغلوا بالكتابة فى دواوين الخلفاء ، لجهل العرب بصناعتها ، إذ ذاك

وكان من أشهر هؤلاء الكتاب ابن المقفع ، وسهل بن هارون ، وابن عبيد الريحانى ، وعلى يد هؤلاء وأمثالهم دخل كثير من خيال الفرس ومعانيهم وأساليبهم ، وظهر أثر ذلك كله فى الكتابة العربية ، واضحا جليا — بيد أن النثر ظل فى مجموعه ، إلى أوائل القرن الرابع خاليا من القصص مقصوراً على الفصول الأدبية ، والرسائل الاخوانية وكتابة الدواوين ،

أما فى العصر الثانى فقد زاد الاختلاط وكثر الامتزاج ، بالمعاشرة والمصاهرة ، وتوغل العرب فى بلاد الفرس وجاسوا خلال القرى والمدن ، واتصلوا بالحياة الاجتماعية عن كثب وسمعوا أقاصيص العامة من الفرس ، وأحاديث الدهماء عن بعض رجالهم ، وعرفوا كيف ينمقون هذه القصص مستعينين بالخيال حينا وبالمحسنات اللفظية أحيانا ـ وكان من هؤلاء العرب من يجيد الفارسية ، ويكلف بأخبارها ، فأخذوا فى محاكاة هذه الأقاصيص ونقلها إلى العربية فكانت القصص المعروفة بالمقامات ـ وأصل المقامة فى اللغة ، مجلس القوم وجماعة الناس ، ثم أطلقت فى العصر الأول ، من طريق المجاز ، على ما يحكى فى هذه المجالس من السير والقصص ، ويكسب سامعيه علما وأدبا ، وأول من ألف فى ذلك ابن دريد — فقد كتب أربعين حديثا ، صور فيها ما رآه ، وما سمعه فى مجالس الناس ومجتمعاتهم .

ثم جاء بديع الزمان الهمزانى واقتفى أثر ابن دريد ، مع اختلاف فى الأسلوب وعناية بتخير العبارات ـ وعلى طريقته سار فارس هذا الميدان أبو محمد الحريرى ، ثم ابو القاسم الزمخشرى من بعده ، ويعتبر هؤلاء الثلاثة أئمة هذه الطريقة ، وعلى أثرهم سار كثير من الكتاب فى مصر والشام ، إلا أنهم لم يبلغوا شأوهم

وأسلوب المقامات يتميز باشتماله على قصص ووصف لأحوال الناس واخلاقهم مع الاشارة الى بعض الاماكن والحوادث ، وللخيال وحسن الديباجة ، ورقة الأسلوب فيها المكان الاول .

ولعل الغرض من إنشاء هذه المقامات ؛ هو جمع شوارد اللغة ودرر الألفاظ وغرر التراكيب وفرائد الأساليب ولو لم تطغ عليها المحسنات البديعية ولاسيما السجع والتورية والجناس ، لكان لها فى ترقية النثر ، ورفع منزلة الكتابة شأن آخر

اشهر رجال المقامات

بديع الزمان ـــ الحريرى

١ ـ بديع الزمان الهمزانى

هو أبو الفضل أحمد بن الحسين الملقب ببديع الزمان ولد فى همزان ، مدينة بأفغانستان ، وحذق اللغة العربية وأتقن الفارسية ولزم على بن فارس ثم الصاحب بن عباد ، حتى امتاح ما عندهما من علم وأدب ، ثم رحل إلى جورجان ، واتصل فيها بأفاضل العلماء ؛ وأخذ عنهم وقبس من آدابهم ، وما زال يتنقل فى خراسان حتى انتهى به المطاف الى نيسابور ، وفيها التقى بالخوارزمى ، حيث نشبت بينهما مناظرة ، هبت على أثرها رياح سعوده فذاع صيته وطبق الخافقين ذِكره ، وفيها أملى مقاماته ، التى تتدارسها اليوم

واشتهر بقوة الحافظة ، حتى قيل إنه كان يسمع القصيدة التى تربوا على الخمسين بيتاً لأول مرة فيحفظها ويؤديها كما سمعها ـ ومقاماته قليلة التكلف مسجوعة قصيرة الفقرات ، تصف ما كان شائعاً فى عصره من التسول والاستجداء ، وهى وان كانت معزوّة الى رجل خيالى سماه عيسى بن هشام ، فانها تصف حاله وتصور حياته التى قضاها فى التجوال والترحال ، وقد مات البديع فى سنة ٣٩٣ ه

ب ــ الحريرى

هو أبو محمد القاسم ابن على بن عثمان الحريرى ولد سنة ٤٤٦ ه ببلدة قريبة من البصرة تسمى مشان وأكب من صغره على الأدب ، وانقطع إلى الاشتغال بالعلوم وكان موسرا ، فأقام فى البصرة ولزم علماءها وأدباءها حتى صار فريدا فى بابته ، ونسل إليه الطلاب من كل حدَبْ ، على دمامته وسوء خلْقه .

ومقاماته التى وصف فيها أحوال الناس ولا سيما الأدباء وصوّر طباعهم وأخلاقهم وجمع فيها كثيرا من الألفاظ العالية ، والأمثال الرائعة والحكم البالغة ، تنطق بفضله وتشتهد بمكانته من اللغة ، ومنزلته من الأدب العربى ، نظمه ونثره ، وقد نحى فى هذه المقامات ، منحى البديع ، واتخذه أستاذا فى نسجها ، وكان أعلم منه باللغة فجاءت مقاماته فى مجموعها معجما حافلا ، بلطائف اللغة وشواردها ــ ولا تزال إلى اليوم مثال الكمال ؛ فى هذا النوع من الكلام .

ومن مؤلفاته درة الغواص ، فى أوهام الخواص ، وتبحث فيما يظنه الناس خطأ وهو صواب ، وقد شرحها الخفاجى ــ ثم ملحة الاعراب وهى أرجوزة شرحها الحضرمى ومقاماته وسنذكر لك مثالا منها

مختار من المقامة العلمية

لبديع الزمان الهمذانى

حدثنا عيسى بن هشام قال : كنت فى بعض مطارح الغرْبة (١) مجتازاً (٢) فاذا أنا برجل يقول لآخر : بم أدركت العلم ، وهو يُجيبه : طلبته فوجدته بعيد المرام ، لا يُصطاد بالسهام ، ولا يقسم بالأزلام (٣) ولا يُرى فى المنام ، ولايضبط بالّلجام ، ولا يُورث عن الاعمام ، ولا يستعار من الكرام فتوسّلت اليه بافتراش المدر (٤) واستناد الحجر ، وردّ الضّجر ، وركوب الخطر ، وإدمان السهر ، واصطحاب السفر ، وكثرة النظر ، وإعمال الفكر وجدته شيئاً لا يصلح إلا للغرس ، ولا يغرس إلا فى النفس ، وصيداً لايقع إلافى النّدْر (٥) ولا يَنشبُ (٦) إلا فى الصدر (٧) ، وطائرا لايَخْدَعهُ الا قنص اللفظ ، ولا يعلقه إلا شرك الحِفْظ فحملته على الروح ، وحبسته على العين ، (٨) وأنفقت من العيش وخزنت فى القلب ، وحررت (٩) بالدرس ، واسترحت من النظر الى التحقيق ، ومن التحقيق إلى التعليق ، واستعنت فى ذلك بالتوفيق ، فسمعت من الكلام مافتق (١٠) السمع ، ووصل إلى القلب ، وتغلغل فى الصدر

---

(١) مطارح الغربة أى بعض المواضع التى رمانى فيها البعد عن أوطانى (٢) مارا (٣) أقداح كانت العرب تستعمل بعضها لمعرفة مافى الغيب ، والبعض الآخر تستعمله فى الميسر (٤) هو الطين اليابس وهذا وما بعده كناية عن خشونة العيش فى طلب العلم (٥) النادر (٦) يعلق (٧) المراد به العقل (٨) أى منعته مفارقتها (٩) حرر المسائل خلصها من الشبهات بكثرة الدرس (١٠) فتق السمع : شقه ، والمراد هنا نفذ منه الى القلب

مختار من المقامة الاسكندرية

للحريرى

قال الحارث بن همّام طحا (١) بى مرحُ (٢) الشّباب ، وهوى الاكتساب (٣) إلى أن جبتُ (٤) ما بين فرغانة (٥) وغانة (٦) ؛ أخوض الغمار (٧) ، لأجنى الثمار ، وأقتحم (٨) الأخطار ، لكى أدرك الأوطار (٩) ، وكنت لقفتُ (١٠) من أفواه العلماء ، وثقفتُ (١١) من وصايا الحكماء ، أنه يلزم الأديب الأريب (١٢) ، إذا دخل البلد الغريب أن يستميل قاضيه (١٣) ، ويستخلص (١٤) مراضيه (١٥) ، ليشتدّ ظهره عند الخصام ، ويأمن فى الغربة جور الحكّام ، فاتّخذتُ هذا الأدب (١٦) اماما (١٧) ، وجعلته لمصالحى زماما ، فما دخلتُ مدينة ، ولا أولجتُ (١٨)

---

(١) ذهب إلى (٢) هو النشاط وشدة الفرح (٣) أى محبة اكتساب المال (٤) قطعت (٥) بلد بأقصى بلاد المشرق (٦) بلد بأقصى بلاد المغرب (٧) بالكسر جمع غمرة وهى الكثير من الماء والمراد هنا الأمور الصعبة (٨) أى دخل فى القحمة بالضم وهى الشدة — والاخطار الأمور العظيمة (٩) الحاجات (١٠) بكسر القاف أخذت بسرعة وحفظت (١١) أدركت (١٢) العاقل (١٣) يرغبه ويترضاه ويطلب ميله إليه (١٤) يطلب (١٥) أى رضاه (١٦) أى الأمر الظريف المستحسن (١٧) يعنى قدوة أعمل بمقتضاه (١٨) دخلت

عَرِينَه (١) ، الا وامتزجتُ (٢) بحاكمها امتزاج (٣) الماءَ بالرّاح ، وتقوّيتُ بعنايتـه (٤) تقوّى الأجساد بالأرواح ، فبينما أنا عند حاكم الاسكندريّة (٥) ، فى عشيّةٍ عَرِيّة (٦) ، وقد أحضر مال الصّدقات ، ليُفضّهُ (٧) على ذوى الفاقات (٨) ، إذ دخل شيخ عِفْرِيَة (٩) ، تَعْتُلُه (١٠) امرأةٌ مُصْبِيَة (١١) ، فقالت أيّد (١٢) الله القاضى ، وأدام به التراضى (١٣) ، إنى امرأةٌ من أكْرَمِ جُرْثُومَة (١٤) ، وأطهر أُرُومَة (١٥) وأشرف خُؤُولَة (١٦) وعُمُومَة (١٧) ، ميسَمى (١٨) الصّوْن (١٩) ، وشيمَتِى (٢٠) الْهَوْن (٢١) ، وخُلُقِى نِعْم العَوْن (٢٢) ، وبينى وبين جاراتى بون (٢٣) ، وكان أبى إذا خطبنى بُنَاةُ (٢٤) المجد (٢٥) ، وأرباب

---

(١) مأوى الأسد (٢) أى اختلطت (٣) اختلاط (٤) محافظته اهتمامه (٥) مدينة معروفة وهى أشهر ثغور مصر بناها الاسكندر (٦) أى شديد البرد أو ذات ريح باردة (٧) يفرقه (٨) أى الفقراء المحتاجين (٩) أى خبيث شديد الدهاء (١٠) تجره بعنف وجفاء (١١) أى ذات صبيان (١٢) قوى ونصر (١٣) أراد التراضى بين الخصوم بحيث يرضى بحكمه بين الغالب والمغلوب (١٤) أى أصل (١٥) الأرومة بالفتح أصل الشجرة ثم استعير لأصل الحسب (١٦) جمع خال (١٧) جمع عم (١٨) علامتى واصل الميسم الآلة التى يكوى بها ويعلم (١٩) الحفظ والعفاف (٢٠) خلق وعادتى (٢١) الرفق (٢٢) اى الرفيق الظهير (٢٣) اى فرق وتفاوت فى الفضل (٢٤) بالضم جمع بان (٢٥) الشرف والمراد اصحاب الشرف والرفعة

الجـــد (١) ، سكتهم (٢) وبكتهم (٣) ، وعاف وصلتهم (٤) وصلتهم (٥) ، واحتج بأنه عاهد الله تعالى بحلفه (٦) ، أن لا يصاهر (٧) غير ذى حرفة (٨) ، فقيض (٩) القدر ولنصبى (١٠) ، ووصبى (١١) ، ان حضر هذا الخدعة (١٢) ، نادى ابى (١٣) ، فاقسم بين رهطه (١٤) ، إنه وفق شرطه ، وادعى أنه طالما نظم دره الى دره (١٥) فباعهما ببدره (١٦) فاغتر ابى بزخرفة محاله (١٧) وزوجنيه قبل اختبار حاله ، فلما إستخرجنى من كناسى (١٨) ، ورحلنى (١٩) عن أناسى (٢٠) ، ونقلنى إلى كسره (٢١) وحصلنى تحت أسره (٢٢) ، وجدته قعدة (٢٣) جثمة (٢٤) ، وألفيته ضجعة (٢٥) نومة (٢٦) ، وكنت صحبته برياش (٢٧) وزى (٢٨) ،

---

(١) اصحاب الغنى (٢) أى قال لهم كلاما لا يجدون له جوابا (٣) الزمهم الحجة (٤) أى كره قربهم (٥) اى عطاءهم (٦) أى يمين (٧) اى لا يزوج ابنته (٨) صناعة (٩) يعنى قدر الله تعالى (١٠) تعبى (١١) مرضى (١٢) أى كثير الخداع (١٣) مجلس أبى (١٤) قومه وعشيرته (١٥) أى جوهرة الى جوهرة (١٦) البدرة عشرة آلاف درهم (١٧) يقال زخرف الباطل حسنه وزينه وأصل الزخرف الذهب ثم أطلقوا على كل مزين مزخرفا (١٨) أى منزلى وأصله بيت الظبى أو بقر الوحش (١٩) نقلنى (٢٠) اهلى (٢١) بفتح الكاف وكسرها أى جانب بيته (٢٢) قيده وحبسه (٢٣) كثير القعود (٢٤) كثير الجثوم أى يلازم الموضع الذى يقعد فيه (٢٥) أصله العاجز الذى لا يتصرف (٢٦) كثير النوم (٢٧) مال ولباس فاخر (٢٨) يعنى هيئة حسنة

وأثاث [١] وريّ [٢] . فما برح يبيعه فى سوق الهضم [٣] ، ويتلف ثمنه فى الخضم [٤] والقَضْم [٥] ، إلى ان مزّق مالى [٦] بأَسره [٧] ، وأنفق مالى فى عُسْره [٨] فلما أنسانى طعم الراحَة [٩] ، وغادر [١٠] بيتى أنقى من الرّاحة [١١] قدتُه [١٢] إليك ، وأحضرته لديك ، لتعجم [١٣] عود دعواه . وتحكم بيننا بما أراك الله [١٤]

---

(١) هو متاع البيت (٢) حسن حال وكثرة نعمة وهو بكسر الراء فى الأصل اسم من روى يروى ريا بالفتح (٣) الكسر والمراد بيعه بأقل من قيمته (٤) الأكل بجميع الفم (٥) الأكل باطراف الأسنان وقيل الخضم الأكل باطراف الاسنان والقضم بمقدمها وقيل الخضم أكل الرطب والقصم أكل اليابس تريد أنه يصرف ثمنه فى أنواع الأكل واللذات (٦) أى فرق الذى لى (٧) جميعه وأنفق مالى أى ما أملكه من المال وفى نسخة وأنفقه (٨) فى قلة ذات يده (٩) حلاوة الاستراحة (١٠) ترك (١١) بطن الكف لنقائه من الشعر (١٢) أى جذبته وأتيت به (١٣) لتقص والمراد تختبر (١٤) بعلمك

التأليف

نهضته — أسباب رقيه

عرفت أن الدولة العباسية هى دولة العلم والأدب ، وأن عصرها هو عصر التأليف والتصنيف ، وعلمت ما كان من عطف المنصور والرشيد والمأمون ، على العلم وأهله ، وحدبهم على المؤلفين واستقدامهم إياهم من أطراف الممالك واكرامهم واغرائهم بالعطاء .

ونريد هنا أن تعلم أنّ هذه النهضة التأليفية التى غرسوها وسَقَوْها بأموالهم وتشجيعهم ، لم يكتمل نضجها ولم تؤت ثمارها حلوة شهية ، إلا فى هذا العصر التى تفرعت فيه الدولة العباسية ، إلى دول وإمارات ، ظهرت آثار النهضة فى كل منها ، مصطبغة بلون المكان والسكان — وقدكان من حسن حظ هذه النهضة أن الذين ورثوها من الدول الجديدة قدروها وأولوها عنايتهم ، وبنوا عليها مجدهم ، فانتعشت فى مختلف أوطانها ، وبسم لها الزمان فى كل مكان ، وإذا كان لها نصير واحد فى بغداد ، وهو الخليفة - فقد أصبح لها فى كل دولة نصراء من ملوك وأمراء ووزراء

وأمدها العصر بمدد من المؤلفين جديد ، فاشترك فيها الترك والديلم والروم وغيرهم ممن دخلوا فى الاسلام — وهكذا انتشرت العلوم وأصبحت للكتب سوق رائجة يتنافس الملوك فى جمعها ، ويتنافس العلماء فى تأليفها وتهذيبها - وظهرت كثير من الموسوعات فى كل فنّ ووضعت مؤلفات مستقلة ، فى علوم جديدة لم تكن من قبل ، كالسياسة والاقتصاد وعلم العمران .

وقد رأيت فيما أسلفناه لك كيف كانت دولة بنى بويه فى العراق وفارس تعطف على العلم وأهله ، وأن من وزرائها ، الصاحب ابن عباد وابن العميد وانت خبير بمكانة كل منهما فى الأدب — كما كان من ملوكها عضد الدولة الذى ألفت له ، كبار الكتب ، فى النحو والسير والتاريخ — وكيف كانت بخارى عاصمة العلماء والأدباء ، ومن مكتبتها الواسعة استقى الفيلسوف الكبير ابن سينا كثيرا من علمه فى الطب والفلسفة .

وكان بنو حمدان فى الشام ، يأوى إليهم من المؤلفون ، ويقصدهم العلماء من كل صوب ، وقد وفد على سيف الدولة الفيلسوف الفارابى والعالم المشهور ابن جنى ، فأكرم وفادتهما وانتفع بعلومهما

وكذلك كان الفاطميون بمصر ينشئون المكاتب ويبذلون المال عن سرف ، فى تشجيع العلماء وإغراء المترجمين والمؤلفين فى كل فن ولا سيما فى علوم الفقه والحديث وعلوم الفلك والنجوم ، وقد ظل مرصدهم الذى بناه الحاكم على جبل المقطم عمدة الراصدين ، حتى بنى الطوسى مرصده بتركستان سنة ٦٥٧ ﻫ

لذلك لا نكون مبالغين اذا قلنا ثمة كما قلنا من قبل إن انقسام الدولة العباسية ، قد أفاد اللغة وآدابها وان هذا الضعف الذى عراها فى آخر أيامها قد استحال قوة ونشاطا فى أدبها ، وعاد بالخير على التدوين والتأليف والتصنيف — واذا كان التأليف فى العصر الأول مقصورا فى الغالب على الترجمة والنقل ؛ فقد صار فى هذا العصر وضعا وابتكارا ، وتهذيبا وتصحيحا .

وإنا مجملون لك أسباب هذا الرقى ، الذى تناول التـأليف هذا العصر فيما يلى :

(١ تنافس ملوك الدول التى انقسمت اليها الدولة العباسية فى تشجيع العلماء وإغراء المؤلفين بالمال

(٢ انتشار المكاتب وتقدير الملوك والوزراء للكتب والناس على دين ملوكهم

٣) كثرة اختلاط العرب بالأعاجم على اختلاف أجناسهم — واتصالهم بحياتهم العقلية أحدث فى نفوسهم ميلا إلى محا كاتهم . فى فنونهم وصناعاتهم التى من أهمها الكتابة

٤) نبوغ كثير من المؤلفـين الذين نبغوا فى العصر الأول فى اللغة العربية واستطاعتهم الترجمة والتأليف بها

٥) قوة النقد التى أفادها العلماء من اطّلاعهم على ثقافة الأمم الأخرى وآدابهم التى ترجمت فى العصر الأول

العلوم التى تناولها التأليف

وأشهر المؤلفات فى هذا العصر

فى هذا العصر الذى نحن بصدده كثر المشتغلون بالعلم والأدب فى جميع الممالك الاسلامية وانتشروا فى العراق وفارس ومصر والشام وتونس والجزائر ومراكش والأندلس وانتسب كل مؤلف أو عالم إلى وطنه فسمعنا بالبخارى والنيسابورى والرازى والبغدادى والأندلسى بعد أن كانوا ينسبون إلى جنسهم أو صناعتهم .

وتميّز عصرهم بالموضوعات الشاملة لكثير من العلوم وتناول التأليف علوماً وُضعت نواتها فى العصر الأول فهذبها العلماء وبوبوها وضاعفوا بحوثها

كما تناول علوما جديدة لم تكن من قبل كالنقد والسياسة والفلاحة والعمران وطرق التجارة وإنا ذاكرون لك فيما يلى أشهر المؤلفات التى وضعت فى هذا العصر وأهم العلوم التى تناولها التأليف

ا — العلوم الدينية

ا — التفسير ـ والحديث

وضعت نواة هذين العلمين فى العصر الأول فألف ابن جرير الطبرى فى التفسير ثم جاء العصر الثانى فظهر تفسير الكشاف للزمخشرى المتوفى سنة ٥٣٨ ﻫ وفيه تعرض لما فى القرآن من بيان وبديع — وكتاب الكشف والبيان لأبى اسحق الثعلبى النيسابورى المتوفى سنة ٤٢٧ ﻫ نحى فيه منحى القصص والاستطراد ،

أما الحديث فان كتبه كان قد تم وضعها قبل ذلك فعنى علماء هذا العصر بترتيب الأحاديث ودراسة الأسانيد وألفوا فى ذلك مؤلفات كثيرة من أشهرها تجريد صحاح السنة للعبدرى المتوفى سنة ٥٥٨ ﻫ وجامع الأصول لابن الأثير المتوفى سنة ٥٢٩ ﻫ

ب — علم الفقه

كان لانتشار المذاهب الأربعة فى الأمصار وتعصب كل مصر لمذهبه ومجادلته عنه أن كثر المؤلفون فى كل مذهب فصنف الماوردى مطوله الذى سماه (الحاوى) فى مذهب الشافعى ـ وصنف القدورى

(المختصر) فى مذهب (الحنفية) — وصنف ابن اسحاق الجندى كتابه (المختصر) فى فروع المالكية ـ وصنف الخرقى (المختصر فى فروع الحنابلة)

جـ ـ علم الكلام

أما علم الكلام فقد انتشر على أثر تسرب الفلسفة إلى المذاهب الدينية إذ انقسم المسلمون تبعا لذلك الى مذاهب كلامية من شيعة ، ومعتزلة ، وأهل سُنة وخوارج .

وأشهر مؤلفات هذا العصر فى ذلك الفن احياء العلوم للغزالى المتوفى سنة ٤٥٠ هـ — والبيان والبرهان فى الرد على أهل الزيغ والطغيان للفخر الرازى المتوفى سنة ٦٠٦

٢ ـ العلوم اللسانية

١ ـ متن اللغة

كان تدوين اللغة فى العصر الاول مقصورا على مايسمع من أهل البادية حين يفدون على الحواضر أو يفد عليهم العلماء لهذه الغاية فى مقامهم بالبادية وكل المؤلفات التى ظهرت عهدئذ لاتتجاوز مجموعات من الكلمات العربية موضوعة فى غير ترتيب ولا نظام

أما فى العصر الثانى فقدنظمت هذه المجموعات ووضعت مؤلفات جديدة على نسق يسهل معه الاطلاع والفهم وكما ألفت معاجم تبحث فى معانى الألفاظ مرتبة على الحروف الهجائية كذلك ألفت موسوعات تبحث عن ألفاظ لما فى الأذهان من معان وأفكار

وأشهر مؤلفات هذا العصر الصحاح للجوهرى المتوفى سنة ٣٩٨ — وقد

راعى فيه أواخر الـكلمات — وأساس البلاغة للزمخشرى المتوفى سنة ٨٣٨ ﻫ وقد روعيت فيه أوائل الـكلمات كما فعل صاحب المصباح المنير وصاحب مختار الصحاح فى عصرنا الحاضر — والمخصص لابن سيدة المتوفى سنة ٤٥٨ﻫ ويبحث لـكل معنى عما يختص به من الألفاظ

ب - الادب

مضى العصر الأول وليس فيه إلا ماجمعه الجاحظ والمبرد وأمثالهما من أخبار العرب وأشعارهم ودونوه على غير نظام

فلماجاء العصر الثانى مال العلماء إلى تدوين أخبار الشعراء والـكتاب ، فى تفصيل واسهاب ، على نحو مايفعل مؤلفو العصر الحاضر سوى أن مؤلفاتهم اصطبغت بشىء من الفلسفة

وقد نمت فى المؤلفين إذ ذاك ملـكة النقد والموازنة فألفوا كتبا خاصة فى نقد الشعراء من أشهرها الموازنة بين أبى تمام والبحترى الآمدى المتوفى سنة ٣٧١ — والوساطة بين المتنبى وخصومه للجرجانى المتوفى سنة ٤٧١ ﻫ

ومن الموسوعات الأدبية الجامعة التى ألفت فى هذا العصر كتاب الأغانى لأبى الفرج الاصفهانى المتوفى سنة ٣٥٦ ويقع فى واحد وعشرين جزءا جمعه صاحبه فى خمسين سنة وذكر فيه مئات من الشعراء ونماذج من أشعارهم وحسبك أن تعلم أن الصاحب بن عباد قد استغنى به عن حمل ثلاثين جملا من الأسفار — ولايحول فى رأينا بين المبتدئين فى الأدب وبين الاستفادة منه الا تسلسله الطويل وأسانيده المملة التى تنفع المؤرخ المحقق أكثر مما تنفع الأديب الشادى

ويتيمة الدهر للثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ وتبحث فى تراجم الشعراء فى القرن الرابع بايجاز ثم تتبعها بمختار من أشعارهم

وعلى نسقه ألفت كثير من الكتب التى تعتبر فى مجموعها تكملة له — كدمية العصر — وزينة الدهر — وخريدة القصر —

ثم انفتح بعد ذلك باب التأليف فى الأدب على مصراعيه وكثر المؤلفون فى الشرق والغرب

فألفت الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة لابن بسام — وقلائد العقيان فى ترجمة شعراء المغرب للفتح ابن خاقان — والمجموعات الأندلسية فى شعراء الأندلس للبيهق

ومن المؤلفات الأدبية كتب المقامات وقد وقفناك على شىء منها — والقصص وأشهرها (الف ليلة وليلة) وهى مجموعة قصص مسلية يعتمد فيها على الخيال الاستطراد، وتقع فى بضعة آلاف صفحة ولها فى الفارسية أصول أربع نقلها عنها المسعودى المتوفى سنة ٣٤٦ هـ

ومازال المؤرخون والقصاص يغيرون فيها ويضيفون، ويزيدون حتى كادت تصبح كتابا آخر يختلف عن أصله الذى نقل عنه

ج ـ النحو :

جاء هذا العصر وللنحو مدارس فى الكوفة والبصرة ولعلماء كل من المصرين مذهب فيه وان كان أكثر ما بأيدينا من مصنفات النحو من وضع البصريين — وأشهر هذه المؤلفات كتاب الايضاح لأبى على الفارسى

المتوفى سنة ٣٧٧ — والمفصل للزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ والكافية والشافية لابن الحاجب المتوفى سنة ٥٩٣ هـ — وألفية ابن معط المتوفى سنة ٦٢٨ هـ والتى وضع ابن مالك الأندلسى الفيته المعروفة على مثالها

ج - البلاغة :

فى العصر الأول وضعت نواة هذا الفن فألف أبو عبيدة المتوفى سنة ٢٠٦ هـ (١) مجاز القرآن فى علم البيان . وهو أول مؤلف فى هذا الفن — وقد كتب الجاحظ فى البيان والتبيين والمبرد فى الكامل فصولا من علم المعانى — ووضع ابن المعتز المتوفى سنة ٢٩٦ هـ سبعة عشر بابا سماها علم البديع .

أمّا فى العصر الثانى فقد كثرت المصنفات وتعدد المؤلفون وتميزت أبواب هذا العلم ، ونمت فروعه وا كتملت أبحاثه

وأول الكتب التى ألفت فى هذا العصر الصناعتين لأبى هلال العسكرى المتوفى سنة ٣٩٥ هـ وما زالت هذه العلوم تحبو الى الأمام حتى جاء سيد البلغاء وامام الفصحاء عبد القاهر الجرجانى المتوفى سنة ٤٧١ هـ فألف كتابيه دلائل الاعجاز فى المعانى ، وأسرار البلاغة فى البيان — وفى ضوء هذين الكتابين الف أبو يعقوب السكاكى كتابه مفتاح العلوم وظلّت هذه الكتب الثلاثة ولا تزال إلى اليوم عماد المؤلفين ومرجع المصنفين فى هذه العلوم — وإن كان لمن جاء بعدهم فضل فهو فضل التوضيح والتنسيق ، والشرح والتعليق

وفى عصرنا الحاضر وضعت فى هذه العلوم مؤلفات كثيرة سهلة المأخذ معبّدة السبيل من أشهرها (علوم البلاغة) للشيخ أحمد المراغى - (والبلاغة الواضحة) للاستاذين الجارم بك ومصطفى امين (والمرشد فى علوم البلاغة) للدهشان . وزميله

---

(١) فى كثير من كتب البلاغة سنه ٢١١ هـ

٣ - التاريخ

٢ — كان من أشهر المؤرخين فى العصر العباسى الأول ابن جرير الطبرى — فلما جاء العصر الثانى وانقسمت الدولة العباسية على ما عرفت كان لهذا الانقسام أثر كبير فى رقى التأليف فى التاريخ وانتشاره - وقد أصبح من أول ما تفكر فيه كل دولة كتابة تاريخها وتسجيل أيامها ووقائعها فكتب المؤلفون فى التاريخ أخبارا وأبحاثا مجردة من الأسانيد على عكس ما كان يفعل ابن جرير الطبرى

وأشهر الكتب التى ألفت فى التاريخ لهذا العهد اليمنى الذى ألفه العتبى للسلطان محمود الغزنوى

وللمسعود المتوفى سنة ٣٤٦ هـ كتب واسعة فى التاريخ العام ضاع أكثرها ولم يبق منها غير مروج الذهب ، والتنبيه والاشراف — ويعتبر من أشهر مؤلفات هذا العصر فى التاريخ تجارب الأمم لابن مسكويه المتوفى سنة ٤٢١ هـ والكامل لابن الاثير — وتاريخ بغداد للخطيب البغدادى — وأخبار ولاة مصر وقضاتها لأبى عمر الاسكندرى المتوفى سنة ٣٥٥ ، وخطط مصر للقضاعى المتوفى سنة ٤٥٤ هـ والمتين فى تاريخ الأندلس — والمنتظم لابن الجوزى المتوفى سنة ٦١٩ هـ والبرق الشامى للعماد الاصفهانى وقد مر بك تاريخه

٤ - علم الجغرافيا

هذا العلم قوامه الأسفار والرحلات والمشاهدات وقد كان العرب فى العصر الأول كثيرى الحلّ قليلى السفر والترحال أما فى العصر الثانى فقد كثرت الأسفار وتعددت الرحلات وساح العلماء فى نواحى

الكرة الأرضية ورأوا مالم يروا ووقفوا على مالم يقفوا عليه من قبل فرسموا المصورات ووضعوا عليها الأماكن فى ضبط وإتقان وصنفوا مؤلفات موضعية تناولت أجزاءا من الكرة الأرضية وأشهر مؤلفات هذا العهد الممالك للاصطخرى

وقد رسم فيه جميع الممالك المعروفة فى عصره بيبسها ومائها — ثم (أحسن التقاسيم فى معرفة أخبار الأقاليم للمقدسين المتوفى سنة ٣٧٥ وكان مزيّنا بالألوان

ثم نزهة المشتاق للشريف الادريسى وقد انتظم تسعة وستين مصوراً ، اشتملت فى مجموعها على تجارة الأمم وصناعاتها فى القرون الوسطى

وكذلك يعتبر من أشهر كتب الجغرافيا معجم البلدان لياقوت الحموى وهو مرتب على حسب حروف الهجاء والافادة والاعتبار فى وصف آثار مصر لعبد اللطيف البغدادى المتوفى سنة ٦٢٩

٥ - الفلســفة

نقلت الفلسفة فيما نقل من العلوم إلى العربية فى العصر الأول غير أنها ظلت كما ظل كثير من العلوم مضطربة الابحاث مختلطة بغيرها من العلوم ولم تخلص مباحثها إلا فى هـــذا العصر حيث تناولها المؤلفون بالتهذيب والتمحيص وتعمقوا فى أبحاثها وزادوا عليها وعلقوا وشرحوا فتم نمو هذا العلم وظهرت آثاره واضحة فيما دون من العلوم الاسلامية إذ ذاك حيث امتزجت بفلسفة ارسطو وإفلاطون واتجهت عناية المؤلفين إلى التوفيق بينهما وألفوا فى ذلك كتبا كثيرة

ومن أشهر مؤلفات هذا العلم رسائل إخوان الصفاء وفيها امتزجت الفلسفة

بالدين ثم احصاء العلوم للفارابى وقد تناول فيه فلسفة أرسطو وأفلاطون — ثم الشفا والانصاف والهداية والقانون لابن سينا

وكلها تشرح الفلسفة اليونانية ولاسيما فلسفة ارسطو وأفلاطون كما تقدم وفى تفسير الرازى المتوفى سنة ٦٠٦ هـ جانب كبير من الفلسفة قد لا تجده فى تفسير آخر

٦ - النقــد

هذا العلم الرفيع لقاحه الذكاء وصفاء القريحة ، وملاكه الجرأة والشجاعة وقد عرفت من تاريخ العرب أن هذه الصفات قد لازمتهم من يوم نشأتهم فى جزيرتهم إلى أن ضعفت دولتهم واضمحل سلطانهم فكان طبعيا أن يستأثروا بهذا الفن ويتميزوا به ، لولا أن اكثر العلماء والشعراء فى الدولة الأموية والعباسية الأولى كانوا من الموالى الذين لا همّ لهم إلا إرضاء الملوك واجتناب ما يعارض رغباتهم حرصا على مكانتهم عندهم ، ولذلك غبر العرب إلى القرن الرابع لا يعرفون من هـذا العلم إلا القليل

وكل ما أثر عنهم فى ذلك أبيات فى الحكم والأمثال أرسلوها لنصح ملك ظالم أو ترغيباً فى فضيلة مهيضة أو تنفيراً من رذيلة شائعة

أما فى العصر الثانى وقد انقسمت الدولة وعز الشعر واشتدت الحاجة الى الشعراء — بدأ هؤلاء ينظمون القصائد فى نقد المجتمع ونظامه

وأول صوت قرع الأسماع فى جرأة وعدم مبالاة كان صوت المعرّى الذى يقول

يكفيك حزنا ذهاب الصالحين معاً ونحن بعدهم فى الأرض قطّان

إن العراق وإن الشام مذ زمن صفران مابهما للملك سلطان

ساس الأنام شياطين مسلطة　　فى كل مصر من الوالين شيطان

ولهذا حقد عليه معاصروه واتهموه بالزندقة والالحاد وأخرجوه من حظيرة الشعراء

ذلك هو علم النقد الاجتماعى كما يفهمه الافرنج اليوم والذى يبحث فى نظام المجتمع وحياته والأفراد وصلتهم به وما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات

فاما النقد الأدبى ونعنى به نقد الشعر والنثر فقـــد نشأ عليه العرب وحذقوه منذ نعومة أظفارهم

وهذا هو النابغة الذبيانى فى الجاهلية كانت تنصب له فى عكاظ قبة عالية يحتكم اليه فيها شعراء القبائل — وتلك هى سكينة بنت الحسين فى العصر الأموى كانت مجالسها بالمدينة أشبه بدار الندوة اليوم فى النقد والتمحيص وقد ألفت فيه كتب كثيرة من أقدمها طبقات الشعراء لابن سلام الجمحى المتوفى سنة ٢٣٢ هـ — والشعراء والشعراء لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ ونقد الشعر لقدامة بن جعفر المتوفى سنة ٣١٠ هـ —

ولما جاء العصر الذى نحن بصـــدده كثرت المؤلفات فى نقد الشعر والموازنة بين الشعراء — وظهرت فى ذلك كتب قيمة كان من أشهرها الموازنة — والوساطة ويتيمة الدهر — وقد أسلفنا الكلام على كل منها :

* * *

ولعلك تستبين من مختلف الابحاث التى سقناها إليك أن هذا العصر وإن كان شرا ووبيلا على الخلافة العباسية من حيث ضعفها وانقسامها ، فانه كان خيرا وبركة على العلم والعلماء ، كما كان سعادة ورخاء على الكتاب والشعراء ، والحمد لله والثناء

الفهرس

استـــدراك

اقرأ فى عنوان صفحة ١٢ استفادته من الجهود العلمية التى بذلت فى العصر العباسى

وفى	سطر	١٢	من	صفحة	٢٦	البديعية
»	»	٦	»	»	٢٨	تشبه
»	»	١٢	»	»	٣٥	نتيجةً لطول
»	»	١٤	»	»	٣٩	أبى العشائر
»	»	٣	»	»	٤٤	بذّ
»	»	٣	»	»	٥٣	تصرم عمر القرنين
»	»	٧	»	»	٧٤	إليهم المؤلفون
»	»	٦	»	»	٨٢	للمقدسى
»	»	٦	»	»	٨٤	والشعر والشعراء

واقرأ الكلمات الآتية من مقامات الحريرى صفحة ٦٩ كذلك

أقتحمُ — والاخطَارَ — قاضيَة — ويستخْلِصَ — مراضيَه

وفى الصفحات الآتية هنات أخرى من السهل إدراكها

٣٢ ، ٣٤ ، ٤٧ ، ٥١ ، ٥٧ ، ٨٠ ، ٨١

تطلب الكتب الآتية من مكتبة مصر بشارع الفجالة

	ملیم
الجزء الأول من كتاب المرشد فى علوم البلاغة مقرر السنة الثالثة	٥٠
الجزء الثانى من كتاب المرشد مقرر السنتين الرابعة الخامسة	٥٠
الهادى فى الأدب العربى مقرر السنة الأولى	١٥
الهادى فى الأدب العربى مقرر السنة الثانية	١٥
النصوص الأدبية مقرر السنة الخامسة	١٠
النصوص الأدبية مقرر السنة الرابعة	١٠